جامعة عبد الحميد ابن باديس – مستغانم.

كليّة الأدب العربي والفنون

قسم الدّراسات اللّغوية

إشكالية النصّ في الدّرس اللّساني الحديث

من مفهوم النصّ إلى معايير النّصية

رسالة مقدّمة لنيل شهادة ماستر2 في الأدب العربيّ.

تخصّص : لسانيات عربية .

إعداد الطّالبة: يوسف سرج يمينة

إشراف الأستاذ د / حسين بن عائشة

السنة الجامعية : 2018/ 2019 .

إهداء...

إلى روح أبي أمحمد طيّب الله ثراه،
إلى جدّتي الغالية ووالدتي الكريمة أطال الله في عمرهما
أهدي هذه الرّسالة

الطّالبة : ي - يوسف سبع .

.

شكر وتقديـــر

أتقدّم بأسمى آيات الشّكر والامتنان إلى أستاذي الفاضل الدّكتور حسين بن عائشة الذي قبل بكرم الإشراف على هذه الرّسالة بالرّغم من وقته الضيّق الثّمين ومشاغله الكثيرة ،والشّكر موصول في غير فصل إلى أستاذتي المحترمة د/ مليكة فريحي على ما قدّمته لي من نصائح وتوجيهات طوال مشواري الجامعي،ومن خلالهما كلّ أساتذتي الكرام بكلّية الأدب العربي والفنون بجامعة مستغانم عموما، والأستاذة د/ مسكين على وجه الخصوص،الذين لم يبخلوا علينا بعلمهم وتوجيهاتهم طوال مدّة الدّراسة والتّكوين

سيدي لخضر في : 2019/01/20 مـ الموافق لـ 14 جمادى الأولى 1440

الطّالبة : ي . يوسف سبع .

مقدّمـــة

مقدّمة :

شكّل التّوجه إلى النصّ فتحا متميّزا في الدّرس اللّساني الحديث،خلّص الدّراسات اللّسانية إلى حدّ بعيد من عقدة النّظرة البنيوية التي أخفقت في إيجاد صياغة مقنعة للرّبط بين مختلف أبعاد الظّاهرة النّصية بعناصرها البنيوية والدّلالية والتّداولية ، وبناء عليه، أردنا أن يكون بحثنا هـ ذا قناة لاكتشاف عالم النصّ ضمن مقاربة مفاهيمية لمصطلح **نصّ** و هويته عربيا وغربيا ، وتتبع التّطورات التي صاحبت هذا المفهوم قديما وحديثا ، تنظيرا وتطبيقا مع رصد أوجه الاختلاف والتقاطع فيما بينها ،خاصّة بعدما سطع نجمه في هذا العصر وأفردت له فيه نظرية برمتها، لنتطرق فيما بعد للعلاقة العضوية بين **ظاهرة النّصية** بوصفها موضوعا للبحث وبين النصّ بوصفه المجال الوحيد لوجود هذه الظاهرة.

وبقدر ما شاع مصطلح **النصّ** في الدّرس اللّساني الحديث لدرجة أنّ استعمال هذا اللفظ أصبح من قبل الموضة كما يقول بارث في كتابه<<درس السيميولوجيا>>، بقدر ما أضحى تعريفه معقّدا وتحديد مفهومه أمرا صعب المنال.

اختلفت الدّراسات الحديثة في مقاربتها للنصّ وبالتّحديد حول تحديد مفهوم جامع مانع ونهائي لهـ وهذا راجع بالأساس إلى اختلاف معاييره ومضامينه، لاختلاف مرجعيّات المهتمّين به واختلاف منطلقاتهم الفكرية والمعرفية.

وإذا كان مفهوم النصّ ينطلق من اللّغة،فلأنّها تمثّل النّظام المركزي الدّال في بنية الثّقافة بشكل عام... ،واكتشاف الدّلالة اللّغوية ورصد تطوّر اللّفظ إلى الدلالة الاصطلاحية يمثّل الرّكيزة الأولى للانطلاق إلى محاولة اكتشاف المفهوم في علوم

الثقافة العربية كافّة كما قال نصر حامد أبو زيد في كتابه<< النص والسلطة والحقيقة>>،ذلك أنّ هدف السّؤال حول مفهوم النصّ في تراث ما يوجّه للكشف عن بعض خصائص البيئة الثّقافية الاجتماعية التي أنتجته،أي التي ولد فيها ونشأ،فكان التّعامل معه على هذا الأساس،ولذلك كان الكشف عن مفهوم النصّ كشفا عن آليات إنتاج المعرفة وعن نمط الثّقافة التي ينتمي إليها>>كما يقول نصر حامد أبو زيد في كتابه <<النص والسلطة والحقيقة>> (1).

إنّ اشتغال النصّ على اللّغة يجعل من هذه الأخيرة مادة بنائه الأساسية ، وهو ما يجعل الطّبيعة اللّغوية ضروريّة ومهمّة في تحديد المفهوم، وإن كانت غير كافية لوحدها خصوصا إذا أخذنا بعين الاعتبار الخاصية التّواصلية للّغة.

وإذا كان العرب القدماء<< لم يتوغّلوا في استعمالهم لكلمة **نصّ** ولا كلمة **نسج** في أبحاثهم وتنظيراتهم التي انتهوا إليها،فعلى الرغم أنهم كانوا حاموا حول هذا المعنى إلا أنهم لم يتناولوه بصورة صريحة >> كما يقول مرتاض في<< نظرية النصّ الأدبي>>،فإن غياب اللّفظ أو اختلاف المسمّيات مع وجود الممارسة الفعلية–لا يعني الجهل به أو بجذوره .

عرف العرب القدماء النصّ وأدركوا أهميّته،بل << إنّ هناك إشارات عديدة وعميقة حول النصّ وإنتاجه وتلقيه وذاتيته النّصية ومن أمثلة ذلك–كما يذكر

---

(1) ... ولأنّ النصوص شوارد على حد تعبير المتنبي، وكلّ نصّ شاردة ينام عنها مبدعها، ويسهر الخلق جراها ويختصم) كما يقول الغذامي عبدالله (الخطيئة والتفكير، ص28) ، فقد شاب علماء النصّ من المشتغلين عليه والمنشغلين به في طريقهم للقبض على حقيقته وإدراكه، فقعدوا له تقعيدا ونظروا له تنظيرا ، ولكنهم تاهوا فيه ممارسة وتحريرا، حتى تفرّقت بهم السّبل والأنحاء بين وصف النصّ والظاهرة النّصية من جهة وبين نقدها والحكم عليها من جهة أخرى.

مرتاض–أنّهم كانوا في حديثهم عن السّرقات الأدبية مثلا والأوقات المفضلة لقول الشّعر،أومأوا إلى ما يطلق عليه قريماس :(la Textualisation:النّصنصة)>>، مع أنّ النّصيّة هو آخر ما توصّل إليه علم النصّ الحديث.

إنّ ظاهرة السّرقات الأدبية ظاهرة معروفة خصوصا في الشّعر القديم،ولها أهميّتها وخطورتها في الدّراسات النّقدية قديما وحديثا ،حتى صارت قضيّة نقديّة مستقلّة بذاتها،بلغت في النّقد القديم ما بلغته نظريّة التّناص في النّقد الحديث،وهو ما ذهب إليه عبد المالك مرتاض وأكّده حينما قال في<< نظرية النصّ الأدبي>>: ولعلّ من أكبر القضايا النّقدية بعد الجدل المحتدم في نظريّة اللّفظ والمعنى التي يعجّ بها النّقد البلاغي العربي أن تكون نظرية السّرقات الشّعرية التي عالجها معظم النقاد القدماء،لكن مع هذا كلّه،لم يعرف العرب في تاريخهم ممارسة نصية كما عرفوها مع القرآن الكريم،وهي أولى مظاهر هذه الممارسة، وتتمثل في الوقوف على النصّ في ذاتيته النّصية>>.

نحاول في هذا البحث تتبّع مفهوم النصّ وتحديد هويّته وعلاقة ذلك بالمنطلقات الثّقافية والفكرية التي ولد فيها هذا النصّ ونشأ،وتحديد–تبعا لذلك– عوامل النّصية ومعاييرها،بما في ذلك عوامل ا لتّماسك النصيّ وأبعاده في إطار النّظرة المتجدّدة لمفهوم ا لنصّ والتّحليل النصيّ ولوسائل اتساقه باعتباره وحدة دلالية متكاملة.

تستهدف أطروحتي الموسوم ة: **إشكالية النصّ في الدّرس اللّساني الحديث: من مفهوم النصّ إلى معايير النّصية:** التّركيز على مفهوم النصّ في الدّرس اللّساني

الحديث في الغرب وعند العرب المحدثين،و إجلاء بعض الفروقات النّظرية والعملية بينهما، بالإضافة إلى أهم المعايير التي تعطي لنصّ ما **ذاتيته نصيّة.**

يطرح موضوع هذا البحث مبدئيّا إشكاليتين أساسيتين:تتعلّق الأولى بالاختلافات النّظرية والعملية التي طالت مفهوم النصّ في الدّرس اللّساني الحديث ومسار تطوّر هذا المفهوم (أو هذه المفاهيم) عند المحدثين الغربيين والعرب وأهم الفروقات النّظرية والعملية المرتبطة بها عند هؤلاء وأولائك من جهة،وتتعلّق الإشكالية الثّانية بأثر ذلك على تحديد المعايير التي تكسب نصّا ما **ذاتية نصيّة** أو هويّة نصيّة من جهة أخرى .

وتأسيسا على ما سبق، تستهدف هذه الدّراسةالإجابة عن بعض الأسئلة الفرعية التي يطرحها الواقع الموضوعي للبحث، منها:1/كيف تجلّت إشكالية النصّ في الدّرس اللّساني الحديث مفهوما وهوية ؟2/ إلى أيّ مدى تتحكّم **اللّغة والبيئة الثقافية** في تحديد هذا المفهوم / هذه الهوية ؟3/ ما المقصود بمعايير النّصية ؟ وما أهميّتها في تحديد **نصيّة** نصّ ما ؟ 4) وهل يمكن أن نقول عن (النصّ بصفة عامّة) شيئا محدّدا ونهائيّا؟

ينبني مشروع هذا البحث على فرضيات عدّيدة، أهمّها:1) أنّ موضوع النصّ شكّل إلى حدّ بعيد قضية نقدية مركزية في الدّرس اللّساني قديما وحديثا،2) أنّ اللّغة هي المادة الأساسية لهذا النصّ،وبالتالي فهي تكتسي أهمية كبيرة وخطيرة في تحديد مفهوم النصّ وهويته،وكذلك ما تعلّق بهذه اللّغة من خلفيات ثقافية ومرجعيات فكرية.

أمّا من النّاحية المنهجية، فإنّ سياق البحث وأبعاده المنهجية بإجراءاتها المختلفة في مقاربة **إشكالية النصّ** يقتضي الاعتماد على بعض العيّنات من وجهات النّظر لمختلف أعلام النّص غربيا وعربيّا بما يحقّق أهداف البحث ويعضدها لأنّ عرض كلّ الآراء والاتجاهات أمر غير ممكن وغير مطلوب أيضا.

وبناء عليه،فقد اعتمدت على منهج تكاملي يجمع–في نوع من الحوارية النّقدية–بين المنهج اللّساني الوصفي والتّاريخي التّحليلي والمنهج المقارن ،وهو اختيار فرضته طبيعة الموضوع وتعدّد فضاءاته وتداخلها من جهة،كما فرضه من جهة أخرى الطّموح الشّخصي في إجراء قراءة معمّقة لإشكالية البحث من جوانبه المتعدّدة وزواياه المختلفة.

وللإجابة على هذه الأسئلة، قسّمت البحث إلى ثلاثة فصول، بالإضافة إلى مقدمة وخاتمة.

أمّا الفصل الأوّل:**مفهوم النصّ عند المحدثين الغربيين** :فقد خصّصناه للحديث عن مفهوم النصّ في الدّراسات النّقدية الغربية،من خلال أراء كبار أعلامه ابتداء من دي سوسير ،مرورا بجاكوبسون وهاليداي ورقية حسن وفان ديك وتودوروف وبارث وجوليا كريستيفا ...،وغيرهم،مع الإشارة إلى نقاط الاشتراك وبعض الاختلافات في وجهات النّظر بين هؤلاء وأولائك في النّظرية والتّطبيق.

وقد تطرّقنا في الفصل الثّاني: **مفهوم النصّ عند المحدثين العرب** إلى إشكالية النصّ عند بعض أعلام النصّ من العرب المحدثين،من خلال بعض النماذج والعيّنات: حيث تطرّقنا إلى رؤية عبد الله الغذامي لمفهوم النصّ بين النّقد الأدبيّ

والنّقد الثّقافيّ،ثمّ إلى مفهوم النصّ عند محمّد مفتاح،وأنهيناه بنظرة عبد الملك مرتاض للنصّ **في نظرية النصّ.**

تحدّثت في الفصل الثّالث: **هويّة النصّ ومعايير النّصيّة** إلى مفهوم النّصية ومعاييرها كمفهوم نقدي متجدّد في الدّرس اللّساني الحديث،مع بعض الإشارات– في نوع من المقارنة– إلى ما توصّل إليه دي بوجراند في تحديده للمعايير النّصيّة وبين رؤية بعض نقّادنا القدامى مثل أبي هلال العسكري والجاحظ والجرجاني لهذه المعايير ،وممارستهم لها،وأنهينا البحث بخاتمة ضمنّاها أهم ما توصلنا إليه من نتائج.

شكّل هذا البحث ثمرة طموح شخصيّ بدأ ينمو شيئا فشيئا منذ ولوجي أبواب الجامعة ممّا شكّل لديّ حافزا لمواصلة البحث الجامعي في ميدان الأدب. كما شكّلت أهميّة هذا الموضوع حافزا آخر دفعني لبذل جهود إضافية في هذا المجال خدمة لمكتبتنا العربية من جهة، ولأدبنا ولتراثنا العربي من جهة أخرى.

وكأيّ بحث أكادمي،فقد واجهتني أثناء إعداد هذا البحث صعوبات جمّة ومختلفة في طبيعتها،حيث شكّلت طبيعة الموضوع في حدّ ذاته وتفرّعاته النّقدية تحديّا كبيرا في مباشرة هذا العمل،وبسبب تعدّد الدراسات النقدية لموضوع النصّ واتجاهاته النصية،بالإضافة إلى صعوبات أخرى تتعلّق بإشكالية التوفيق بين التفرّغ للعمل البحثي وبين الالتزامات المهنية والأسرية،وهو ما شكّل بالنسبة لي نوعا من التحدّي الذي رفعته لإتمام هذا البحث وإخراجه في صورته الحالية في قليل من الوقت وكثير من الحرص والصبر.

لا يفوتني في الأخير أن أتقدّم بأسمى آيات الشّكر والامتنان إلى أستاذي الفاضل الدّكتور حسين بن عائشة الذي قبل بكرم الإشراف على هذه الرّسالة ابتداء وتكبّد عناء القراءة والتّوجيه بالرّغم من وقته الضيّق الثمين ومشاغله الكثيرة، والشّكر موصول في غير فصل إلى الأساتذة إلى كلّ الأساتذة الأفاضل الذين لم يبخلوا علينا بعلمهم وتوجيهاتهم طوال مدّة الدّراسة والتّكوين.

الفصل الأوّل:

مفهوم النصّ عند المحدثين الغربيين.

تمهيد :..... 02
المبحث الاوّل: فان دايك ومفهوم البنية الموضوعية للنصّ:..... 07
المبحث الثّـاني: النصّ بين الاتساق والوظيفة الإتّصـــالية عند هــاليداي ورقية حسن:..... 10
المبحث الثّالث: النصّ عند تودوروف بين الاستقلالية والانغلاق:.. 14
المبحث الرّابع: بارث بين نصّ الكتابة ونصّ القراءة :..... 15
المبحث الخامس: النصّ عند كرستيفــا بين مفهوم الإنتاجية ووظيفة التّناص: 19

الفصل الأوّل: مفهوم النصّ عند المحدثين الغربيين.

تمهيد:

ساهمت أرا ء **دي سوسير** اللّسانية في تطوير مجموعة من المناهج اللّغوية والنّقدية التي تعني بمفهوم النصّ وبنيته ومعايير تكوينه ،وقد كان لإجراء التّفريق بين **اللّغة والكلام** أثر كبير في تطوير تحليل النّصوص الأدبيّة من الدّاخل بطريقة جديدة أو–على الأقل–بطريقة لم تكن معهودة من قبل ،فقد حوّلت ج هوده اللّغوية واللّسانية واقع الدّراسات اللّسانية الحديثة ومجراها ،وبناء عليه،فقد تحوّل اهتمام الدّراسات اللّسانية من(تاريخيّ اللّغة) إلى (دراسة الظاهرة اللّغوية) وفق نموذج جديد لعلم اللّغة، وخصوصا بعد نشر كتابه<<دروس في اللّسانيات العامّة>> الذي شكّل إلى حدّ بعيد إرهاصات ومعالم اللّسانيات البنيوية الحديثة ،من خلال خطّ معرفي في التّفاعل مع اللّغة كنظام من العلامات بمنطق علمي، معتمدا في ذلك على بعض المقولات أو الثّنائيات اللّسانية التي جاء بها مثل: التّعاقب–التّزامن،اللّغة–الكلام،النّسقي–الاستبدالي،الدّال– المدلول،وغيرها كإعتباطية العلامة.

إنّ البنية اللّغوية عند **دي سوسير** ليست مجرّد أصوات أو صور سمعية ، لأنّ محاولة تحديدها من هذه الوجهة فيه كثير من الإجحاف لما سيترتّب عنه من عزل لها عن النّظام الذي تنتمي إليه، ذلك أنّه لا يمكننا بأية حال من الأحوال الانطلاق من الكلمات للوصول إلى النّظام،بل بالعكس من ذلك، بل يجب النّظر إلى النّظام ككلّ متكامل،ومنه نستطيع الوصول من خلال التّحليل إلى العناصر المكوّنة

له،وبناء عليه <<كان لسوسير –كما يقول سعد مصلوح – الفضل في توضيح قيمة الوحدة داخل النظام>>[1] .

ومن هؤلاء الروّاد كذلك نذكر **جاكبسون**،وهو واحد من الشكلانييّن الرّوس الأوائل الذين ساهموا بشكل فعّال في إرساء دعائم علم الأدب الحديث ونظريته على أسس علمية وموضوعية ،خصوصا من خلال تركيزه على وظيفة الأدب بشقّيها: الجمالي والعشري. لقد استعمل **جاكبسون** مصطلح **الأدبية** كمفهوم إجرائي للإشارة إلى كلّ ما يجعل من عمل ما عملا أدبيا.

لا يخرج مفهوم الأدبيّة عموما عن عناصر العمل أو النصّ الأدبيّ وخصائصه الفنيّة من حيث الشّكل والمضمون،ما يجعل الأدبيّة بهذا المفهوم <<ليس إلا تخصّصا في مجال الشعرية [أو] تحول عناصر اللّغة من صفة الدّال على مدلول خارج عنه إلى وضع يتحوّل فيه الدّال نفسه إلى مدلول >>[2]، مع ما يعني ذلك من تحوّل لمفهوم القيمة في النصّ الأدبي من السيّاقات التّاريخية والإجتماعية والنّفسية، لتضعها في طبيعتها الشّعرية بالمفهوم الواسع لكلمة **شعرية**، والتي<<لا تقتصر على جنس بذاته، وإنّما تشمل كلّ الأجناس الفنيّة>> [3] .

وانطلاقا من فهمه لمسألة النّظام اللّغوي والوظائف المرتبطة به،يرى **جاكبسون** أنّ النصّ الأدبي يتعلّق بالأساس بآليات اشتغال العناصر المكونة للبناء

---

[1] سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، مجلد 10، عدد2/1 ،1991، ص 153.

[2] المرجع نفسه، ص 168 .

[3] صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ميريت للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2002، ص 88 .

في أصل النظام الأدبي،ولذلك قال:<<إنّ موضوع العمل الأدبي ليس الأدب وإنّما الأدبية>>(4).

درس **جاكبسون** الشّعر لسانيّا،وكان يعنى بإستقراء المعطيات النّصيّة الصّوتية والإيقاعية والنّغمية والصرفية والتّركيبية والبلاغية والدّلالية ضمن نسق تفاعلي كليّ، تترابط فيه العناصر البنيوية جميعها ...،وقد اهتمّ بالخصوص باللّغة الشّعرية ، وربط الصّوت بالدّلالة ،مع تصنيف المعطيات المتب قيّة في النصّ الشّعري بغية رصد الوظيفة الجمالية أو الشّعرية التي تتحققّ في النصّ ودراسة الدّوال اللّفطية باعتبارها علاقات سيميائية>> (5) .

اعتبر **جاكوبسون** اللّغة قناة بالنسبة لمعاني النصّ الأدبيّ من جهة، وذات بعد لساني وظيفي من جهة أخرى،كما أهتم وفي نفس الإطار بمفهوم القيمة المهيمنة في النصّ،والّتي تعني<< ذلك العنصر البنيوي للأثر الأدبي،إنّها تحكم وتحدّد وتغيّر العناصر الأخرى، كما أنّها تتضمّن تلاحم البنية >>(6)،وقد تتجاوز هذه القيمة في استعمالاتها التّطبيقية تحديد الأجناس الأدبية والتّمييز بينها إلى التّفريق بين الأنساق الشّكلية الأدبية، وتستعمل كذلك لتفريد النّصوص وتمييزها عن بعضها البعض.

ولد نحو النصّ من رحم البنيوية الوصفية القائمة على نحو الجملة خصوصا في أمريكا، إلى أن جاء **هاريس**،الذي شكّل بحثه << **تحليل الخطاب**>> الذي نشره

---

[4] **سعيد يقطين، تحليل الخطاب الرّوائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط1، 1989، ص 164 .**

[5] **جميل حمداوي، رومان جاكبسون بين قضايا اللّسانيات وأسئلة الشعرية، مجلة أدب فن (مقال على الأنترنت 2017/02/10)، ص3.**

[6] **المرجع نفسه، ص3.**

في مجلة(Langages)عام 1969 نقطة انعطاف أخرى في مسار الدّراسات اللّسانية الحديثة، حيث<< وسّع حدود الوصف اللّساني إلى ما هو أكبر من الجملة ، معتمدا على العلاقة التّوزيعية بين الجمل من جهة ،وعلى الرّبط بين اللّغة والموقف الاجتماعي من جهة أخرى << وهو ما فرض توجّها جديدا نحو الاعتراف بنحو النصّ بديلا شرعيا عن نحو الجملة، من خلال منهج جديد لتحليل الخطاب المترابط، فاهتم بتوزيع العناصر اللغّوية في النّصوص،والربّط بين النصّ وسياقه الاجتماعي>> (7)،حيث انطلت محاولته بالجدّية في الحديث عن النصّ كوحدة إجرائية في الدّراسات اللّسانية سواء من خلال توسيع مجال اللّسانيات الوصفية إلى خارج حدود الجملة الواحدة، أو تحديد العلاقات بين الثّقافـة واللّغة.

وبتحوّل مجال الدّراسات اللّغوية واللّسانية من الجملة إلى النصّ ،كان مهمّا أن تتغيّر تبعا لذلك أدوات التّحليل النصّي الإجرائية، ولكن ضمن اللّسانيات الوصفية نفسها، لأنّ الأدوات اللّسانية قد تبلورت بشكل يسمح بدراسة أي قول مهما كان طوله، مع اعتبار أنّ تتابع الجمل في خطاب ما،يشكّل بالمقابل مجالا محددا لمناهج اللسانيات الوصفية. ثمّ توالت بعد ذلك الجهود والاجتهادات الغربية في مجال البحث اللّساني النصيّ،ما شجّع آخرين على البحث في التّماسك النصيّ وأبعاده ،بما يؤسّس لنظرة جديدة للنصّ وللتّحليل النصيّ،حاملا لوسائل إتّساقه بإعتباره وحدة دلالية كليّة، خصوصا من خلال جهود **رقية حسن** و **هاليداي** في <<الاتساق في الإنجليزية >>

[7] **صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، ج1، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ط1، 2000 ، ص 25 .**

(1976)،و**فان دايك** في << بعض وجوه نحو النصّ >>(1972)،و<<النصّ والسياق>>(1976))،**ودي بوجراند** في<<النصّ والسياق والإجراء >>..، وغيرها،وهي الجهود التي أرست مفهوما جديدا ل لنصّ،وحدّدت إلى حدّ كبير هويّتة ومعاييرهـ النّصية.

تتباين النّظرة إلى النصّ عند الغربيّن تبعا لاختلاف المناهج التي تعرّضت له، فقد<<أرتبط مفهوم النصّ في المنهج الاجتماعي بالبنية التي أنتجته أو التي نشأ فيها، مع أن هذه العلاقة المتبادلة بين السلسلة الأدبية والسلسلة الاجتماعية يمكن أن تقدّم من خلال النشاط الكلامي>>**(8)**،وبناء عليه، يصبح النصّ<<بنية دلالية تنتجها ذات ضمن بنية نصية منتجة في إطار بنية أوسع اجتماعية وتاريخية وثقافية >> **(9)**.

إنّ ربط مفهوم النصّ بسياقاته المختلفة يجعل من البنيات الاجتماعية والتاريخية والثقافية برمتهابنيات نصية،مجسّدة في النصّ الأدبي ومجسّدة له، بأبعادها الدّلالية في علاقاتها بدلالة النصّ نفسه من خلال اللّغة ضمن عملية البناء والتّفاعل من جهة، وفي إطار العلاقة الممتدّة بين الإنتاج والتّلقي من جهة أخرى، وهو<< ما يجعل المجتمع يتمظهر في النصّ الأدبيّ من خلال مسار تناصي ،هو المسار الحواري الاستيعابي، الذي تسلكه نصوص أخرى، وهكذا يعدو النصّ رائعة اجتماعية

[8] بيارف زيما، النّص والمجتمع، أفاق علم إجتماع النقد، ترجمة أنطوان أبو زيد، المنظمة العربية للترجمة، ط 1، 2013، ص 22 .
[9] محمد عزام، النصّ الغائب، تجليات التّناص في الشعر العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،2001، ص16.

>>(10)،ممّا يعطي للأدب عموما تمثيلا واقعيا للحياة على المستوى الجماعي أو الاجتماعي،باعتبار أنّ المجتمع هو المنتج الفعليّ للأعمال الأدبيّة.

المبحث الاوّل:فان دايك ومفهوم البنية الموضوعية للنصّ :

وتتميّز الأعمال الأدبيّة حسب **جولدمان**<< بأبنية دلاليّة كليّة،ويمكن أن نجد تناظرا بين بنية الوعي الجماعي من ناحية والبنية الدّلالية من ناحية أخرى،بمعنى أنّه في قراءتنا للأعمال الأدبية،فإنّنا ننحو إلى إقامة بنية دلالية كليّة تتعدّل بإستمرار...، وعندما ننتهي من القراءة ،تتكوّن لنا صورة عن بنيته الدّلالية الكليّة،وهذه الصورة هي المقابل المفهومي والمقابل الفكري للوعي والضمير الاجتماعيين المتبلورين لدي الأدبي>> (11)

لم يكن علم الاجتماع النصّي في آخر المطاف إلا حلقة من حلقات التطوّر في بناء **سوسيولوجيا الأدب** ،خصوصا عند **لوكاتش**، و **غولدمان**<< الذي يفيد من معطيات علميّ النصّ والسوسيولوجيا على وجه التّحديد لكي يجعل المقاربة السّوسيولوجية ارتباطا بالوسيط الحقيقي الفعلي بين الأدب والحياة،هذا الوسيط الفعلي هو اللّغة،لأنّ اللّغة هي مادة الأدب أو مادة التواصل في الحياة>> (12) .

ورغم وجو د مشترك مفهومي للنصّ عند السيوسيولوجيين عموما، يوجد اختلاف فيما بين أقطابه :<< فأمّا **فان دايك** فقد جنح نحو الاهتمام أكثر بنحو النصّ وإقامة تصور متكامل حوله ،حيث انطلق من تحليل سيكولساني للخطاب

---

[10] بيارف زيما، النصّ والمجتمع، م س، ص 33.

[11] صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، م س، ص 49.

[12] المرجع نفسه، ص 52.

وللنصّ، رابطا بين الدّلالة والتدّاولية ...، وأنّ أيّ تحديد للنصّ يقتضي نظرية أدبية >>(13)، ولذلك،بدأ في البحث في مكونات النصّ ووحداته ومستوياته وقواعده << متجاوزا الجملة كوحدة لغوية للبحث اللّساني،بل منتقدا بعض النّظريات اللّسانية المبنية على اعتبار الجملة هي الوحدة الكبرى تركيبا ودلالة،لأنّه يرى أنّ هذه الطّريقة في التفاعل غير سليمة وغير كافية. فالعبارات المنطوقة يجب أن تعاد صياغتها تبعا لوحدة أوسع ما تكون ،وأعني بذلك المتن أو النصّ، وهذا الاصطلاح الأخير ،إنّما استعمل هنا ليفيد الصّياغة النّظرية المجرّدة المتضمّنة لما يسمىّ عادة **بالخطاب،** ومن ثمّ ، فإنّ تلك العبارات التي يمكن أن تحدّد البنية الخاصّة بالنصّ ،قد تصبح خطابا مقبولا في اللّغة في هذا المستوى من اعتبار صفة القبول ،أي تصير جيّدة التّعبير قابلة للتّأويل >>(14)،ويستخدم مصطلح التّأويل هنا بطريقة أكثر ضبطا ممّا هو مألوف في الدّلالة التّداولية <<إذ يرتبط بتعليق البنية الدّلالية على الاشارية عبر العمليات اللّغوية في نصّ معين>> (15) .

يتجاوز مفهوم النصّ عند **فان دايك**– تركيبا– مفهوم الجملة إلى ما هو أوسع منها، كما يتجاوز اللّغة في صفتها المجرّدة إلى اللّغة في التّداول والاستعمال: أي يتجاوز **اللّغة** إلى **الكلام**،ذلك<< أنّ البناء النّظري للعبارات على المستويين الصّوري والدّلالي ينبغي أن يكمّل ويتمّم بالمستوى الثّالث، أعني–يقول **فان دايك**–مستوى فعل الكلام، وذلك أنّ كلّ عبارة متلفّظ بها ،ينبغي ألاّ توصف فقط من وجهة تركيبها

---

[13] سعيد يقطين، انفتاح النصّ الرّوائي: النصّ والسياق، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 2001، ص 14.

[14] فان دايك، النصّ والسّياق، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، 2000، ص 19 .

[15] صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النصّ، دار الكتاب اللبناني، ط1، 2004، ص 226.

الدّاخلي والمعنى المحدّد لها،بل ينبغي أن ينظر إليها كذلك من جهة الفعل التّام الإنجازي المؤدّي إلى إنتاج تلك العبارة >>(16).

ينتقل **فان دايك** بذلك من التّحليل البنيوي إلى الممارسة النصّية ، لأنّ البحث في وحدات النصّ ومستوياته عند هـهو في الحقيقة الأمر بحث عن **الأدبية**،التي يرتبط بها مفهوم النصّ ضمن مجموعة من الأطروحات التي يرتسم من خلالها حدود نظريته للنصّ من جهة، ويحقق مقاربة دينامية له من جهة أخرى.

ليس الأدب مجموعة نصوص خاصّة فقط، إنّه بالأحرى <<مجموعة من الممارسات النّصية الخاصّة...،ومعنى هذا أنّ النصّ الأدبي يجب أن يعتبر في آن واحد نتاجا لفعل ولعملية إنتاج من جهة ، وأساسا لأفعال وعمليات تلقي واستعمال داخل نظام التّواصل والتّفاعل>>(17) من جهة أخرى،ما يعطي للسياق التّداولي أهمية كبرى في تحديد مفهوم النصّ في الاستعمال (أي كخطاب).

يرى **فان ديك** في النصّ <<بنية سطحية توجهها وتحفزها بنية عميقة دلالية >>(18)، والبنية العميقة في مفهوم هـ هي<<البنية الموضوعية للنصّ >>(19)،كما يقول سعيد يقطين،مع أنّ التّفريق بين البنيتين له أهمية كبرى في إدراك مفهوم النصّ قد نتجاوز حدود الجملة ليدرك مفهوم الخطاب في شكل متو اليات جملية مترابطة فيما بينها منظورا إليها كمرّكب جملي له وصف تداولي خاصّ ،أو كبنية مقطعية يشكّلها

---

[16] فان دايك ، النصّ والسياق ، م س ، ص 18.

[17] سعيد يقطين، انفتاح النصّ الروائي ، م س ، ص 14.

[18] محمد نديم خشفة، تأصيل النص، المنهج البنيوي لدى غولدمان، مركز الأنماء الحضاري، حلب ط1،1997،ص 78.

[19] سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي ، م ت ع ، بيروت ، ط 1 ، 1989 ، ص 18 .

ترابط وحدات لسانية يحقّق تماسكا (تركيبيا) وانسجاما (دلاليا)،أي منطوقات لغوية مكتوبة ومقطوعة تستند إلى وصف نحوي أكثر ثراء لأبنيّتها >>(20) في اتجاه مفهوم الانسجام الذي يحقّق وحدة النصّ،كما يضيف **فان دايك** البعد التداولي لمفهوم النصّ،بما يجعله<<وحدة مجرّدة لا تتحقّق إلاّ من خلال الخطاب كفعل تواصلي >> .(21)

يهدف **فلِن دايك** دلاليّا من خلال ذلك إلى بناء نحو توليدي للنصّ،ينطلق من بنية نصية موضوعية تجمع بين البنية السّطحية/التركيبة والبنية العميقة/الدّلالية، التي تمثّل العنصر الجوهري في النصّ،فيربط بين بنية النصّ وسماته الدّلالية،وهو ما يجعل النصّ وحدة دلالية ، ولكنّها تتجاوز دلالة المفردة ودلالة الجملة إلى دلالة الأبنية النّصية الكبرى التي تمثّل–وفق طبيعتها الدّلالية–البنية الدّلالية العامّة المرتبطة بالتّماسك الكليّ للنصّ.

المبحث الثاني: النصّ بين الاتّساق والوظيفة الاتصالية عند هالداي ورقية حسن:

أمّا **هالداي ورقية حسن** ،فقد ركّزا على الوظيفة الاتصالية للنصّ بما يعطيه مفهوم الوحدة الدلالية المكتسبة بمعنى ما في سياق معين ،وقد<< تتجسّد هذه الوحدة في(جملة) كما قد تتجسّد في نصّ، مع الأخذ بعين الاعتبار الفرق بينهما.

تستخدم كلمة (**نصّ**)–من هذا المنظور– في علم اللغويّات لتشير إلى أيّ فقرة مكتوبة أو منطوقة مهما كان طولها ، شريطة أن تكون وحدة متكاملة>>(22)،ولا يخرج

---

[20] فان دايك،علم النص، ترجمة وتعليق سعيد حسين بحيري، دار القاهرة للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط2، 2005، ص 74.

[21] سيعيد يقطين، انفتاح النصّ الروائي، م س، ص 16 .

[22] عفيفي أحمد، نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2001، ص 20.

مفهوم الوحدة المتكاملة هنا عن الوحدة البنيوية والوحدة الدّلالية التي تحملها أو تشكّلها المقطوعة اللّغوية المحدّدة لها دون أن يكون الطّول والقصر شرطا أساسيا فيه،ما يجعل النصّ بهذا المفهوم وحدة دلالية << وهذه الوحدة ليست وحدة شكل بل وحدة معنى>>(23) .

إنّ النصّ حسب رأي **هاليداي** هو<< وحدة نحوية أوسع من الجملة، أو ليس مجرد مجموع جمل ، بل هو وحدة لغوية في طور الإستعمال،وهذا لا يتعلق بالجمل وإنما يتحقق بواسطتها >>(24)،مع أنّ التّركيز على المعنى في النصّ لا ينفي الشّكل،لأنّه يستحيل الحديث عن (وحدة دلالية) دون (وحدة بنيوية) مهما كان شكلها، لكن يبقى الشّرط الأساسي المحدّد لمفهوم النصّ <<هو التركيز على جانبي الوحدة والانسجام من خلال الإشادة إلى كون النصّ وحدة دلالية >>(25)،وبذلك،يتجاوز مفهوم النصّ ،الوحدة النّحوية المجرّدة إلى مفهوم الوحدة اللّغوية في التّداول الذي يكسبها معنى ما في سياق معين ،بحيث تتحقّق في شكل جمل ضمن شرط الوحدة والانسجام، أي أنّ مفهوم النصّ يحتوي على **دلالات غير قابلة للتجزئة** من جهة، وأن نقل هذه الدلالة كاملة غير منقوصة يحقق **وظيفة ثقافية محدّدة** من جهة أخرى، ليتجاوز مفهوم النصّ بهذا الشكل المحدّد الكمي **الطول** و**القصر** والمحدد الشّكلي(طريقة التّنصيص نطقا أو كتابة) إلى عملية التّواصل بين طرفي العملية التّداولية:(باث–مؤلّف–منتج) إلى(متلقي–سامع–قارئ) في إطار سياق ما ،أي ضمن

---

[23] سعيد يقطين، إنفتاح النصّ الرّوائي، م س، ص 17.

[24] محمد عزام، النصّ الغائب، م س، ص 16.

[25] سعيد يقطين، انفتاح النصّ الرّوائي، م س، ص 17.

دلالات تواصلية –تداولية، فإذا تحقّقت هذه الشروط في(كلمة واحدة) أصبحت هذه الكلمة نصّا.

ينطلق **هاليداي ورقية حسن** –من جانب آخر– في تصوّرهما لبناء مفهوم النصّ من **مفهوم الوظيفة**،التي يشكّل فيها المعنى –الدّلالة بعدا أساسيا،مع أنّ << وظائف النصّ حسب تصورها ثلاث:الوظيفة التّجريبية ،وتبرز في مضمون الاستعمال،أي أنّ اللّغة تكون حول شيئ ما،والوظيفة الثانية هي الوظيفة التّواصلية ، وتتّصل بالبعد الاجتماعي (بين الأشخاص) لوظائف اللّغة التّعبيرية، وفيها يتم تحديد زاوية المتكلّم ووضعه وأحكامه وتشفيره، ولدور علاقته في المقام وحوافز قوله لشئ ما في علاقته مع مخاطبه .أمّا الوظيفة الثّالثة النصيّة ، فتتضمّن الأصول التي تتركّب منها اللّغة لإبداع النصّ ، ليصبح مشغّلا من خلال موضوع ، ومنسجما في علاقته مع ذاته وفي سياق المقام الذي وظّف فيه>>(26).

ركّز **فان دايك وهاليداي** في تحديد مفهوم النصّ كوحدة دلالية على عنصري **الوحدة** و**الانسجام**، وهما معا ضروريان لانفتاح الدّلالة والمعنى بمختلف أبعادهما، كما<< نجد التّركيز جليّا عندهما أيضا على علاقة النصّ بالسّياق ، وهذا بدوره يؤّكد البعد الدّلالي ،لكنّه يضعه في إطار التّفاعل الاجتماعي من خلال أبعاده المعرفية والاجتماعية والإيديولوجية>>(27)، ومن هذا المنطلق تصبح النّظرة إلى النصّ نظرة

[26] سعيد يقطين، انفتاح النصّ الرّوائي، م س، ص17.
[27] سعيد يقطين، انفتاح النصّ الرّوائي، م س، ص 19.

شمولية لا جزئية،وأنّ هذه النّظرة الكليّة،إنّما تشّكل مظهرا من مظاهر وحدته ونصيّته المتشكّلة أساسا عبر تماسك عناصره ووحداته المشكّلة له وانسجامها.

أمّا بنيويا*، فقد تعدّدت المقاربات النّقدية لمفهوم النصّ تبعا للمنعطفات التي ميّزت الفكر البنيوي، ابتداء من **دي سوسير** الذي فهم النصّ على أنه **(بنية لغوية)**، أي كحقيقة ثابتة تشكّل اللّغة مادته الأساسية، ولذلك قال سوسير : <<لا شئ يتميّز قبل البنية اللّغوية >>(28)،بل إنّ النصّ في المنظور السّويسري هو اللّغة ذاتها بعلاقاته الدّاخلية الم بتّقة في نظام محدّد، وهوما ذهب إليه **بوريس إيخنبوم** الذي يرى في<<النصّ تجربة بناء،ومن خلال هذا البناء يستمدّ النصّ حقيقته عبر اشتغال العناصر الداخلية المكوّنة لهذا البناء اللّغوي ،بما يهنح النصّ وجودا من خلال هذا النّظام الذي يمثّل المظهر الحقيقي للبنية ، مع أنّ وحدة العمل الأدبي ليست كيانا مغلقا ولكنّها تكامل ديناميكي ،إنّ عناصره ليست مرتبطة فيما بينها بعلاقة تساو أو إضافة، بل بعلاقة التّلازم والتّكامل الديناميكية، ولذلك يجب الإحساس بشكل العمل الأدبي كشكل ديناميكي>>(29)،وبالرّغم من الحركية الجديدة التي أضفاها هذا المفهوم على النصّ،إلاّ أنّها حركية قيّدتها العناصر الداخلية المشكّلة للبنية حسب مقتضيات

---

* لأنّ تعاريف النصّ بالمفهوم الأدبي طغى عليها في بداية الاهتمام بالنصّ والتنظير له الطابع البنيوي ، لذلك تعدّ البنيوية أول نظرية إنطلقت منها جلّ المحاولات الأولى لدراسة النص، دراسة منهجية والتنظير له على أسس علمية.(محمد الأخضر الصبحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الاختلاف، الجزائر، 2008، ص 22) .

[28] ميجاني الرويلي– سعد البازجي، دليل الناقد العربي، المركز الثقافي العربي، السعودية، 1995، ص29.

[29] فخر الدين جودت، شكل القصيدة العربية في النقد العربي حتى القرن الثامن الهجري، دار الأدب، بيروت، لبنان، ط 2، 1984، ص 193.

النظام المحدّد لها،أي أنّه تكريس لمفهوم البنية الدّاخلية نفسها طالما قيّد ت حركيّتها ضمن إطار التّكامل بين العناصر المكونة لهذا النّظام .

المبحث الثّالث: النصّ عند تودوروف بين الاستقلالية والانغلاق:

أمّا **تودوروف** ، فيقوم تعريفه للنصّ <<على أساس استقلاليته وانغلاقيته، وه ما الخاصيّتان اللّتان تميّزانه،فهو يؤلّف نظاما خاصّا به،لا يجوز تسويته مع النّظام الذي يتمّ به تركيب الجمل،ولكن نضعه في علاقة معه >>(30) ، فهو يفرق ابتداء بين النصّ كنصّ وبين فقراته، بإعتبار النصّ وحدة منتظمة من الجمل في نظرته الكليّة. وقد يكون النصّ جملة كما قد يكون رواية كاملة،وبذلك فلا اعتبار في تعريف النصّ إلى محدّد الطّول والقصر،مع أنّ النصّ في اعتباره إنّما يقوم على أساسيين كما أسلفنا:الاستقلالية والانغلاق،و<<هذا ما يميّزه عن غيره بخصائص نوعية تتجلىّ من خلال ثلاث مظاهر : المظهر اللّفظي،وهو مؤلّف من العناصر الصوتية والقاعدية التي تؤلّف جمل النصّ، ثمّ هناك المظهر التّركيبي ،والذي يمكن تبيّنه ليس بالرجوع إلى قواعد تأليف الجمل، وإنّما بالرجوع إلى العلاقات التي بين الوحدات النصيّة،أي الجمل ووحدات الجمل،وهناك أخيرا المظهر الدّلالي ،والذي هو نتاج معقّد للمضمون الدّلالي الذي توحي به هذه العناصر والوحدات>>(31).

لقد أصاب نظرية الأدب ابتداء من البنيوية تحوّل جذريّ، مكّنها من أن تصبح نظرية في ظواهر الإبداع الأدبي من منظورها اللّغوي والفنّي والجمالي ،<<

---

[30] عدنان بن ذريل، النصّ والأسلوبية بين النّظرية والتّطبيق، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000، ص 15.

[31] عدنان بن ذريل، النصّ والأسلوبية بين النّظرية والتّطبيق، م س ، ص 16.

(لقد)كان الغطاء النّظري للبنيوية هو(**علم اللّغة**)...،المنبع الحقيقي لمجموعة المصطلحات التي استخدمتها البنيوية في مجال النّقد الأدبي>> (32، ولعل أبرز هذه المصطلحات هو مصطلح **البنية**، ذلك أنّ الأعمال الأدبيّة برمتّها << تمثّل أبنية كليّة، لأنّ دلالتها في الدّرجة الأولى مرتبطة بهذا الطّابع الكليّ لها >>(33)،ولذلك، فقد مارس المنهج البنيوي في بدايته نوعا من الاخصاء على النصّ بإبعاده عن مؤلفه ومبدعه وسياقاته الخارجية ، واكتفى بالعناصر الأدبية الشكلية المشكّلة له، ما يجعل من النصّ بهذا المفهوم <<بنية لغوية م نغلقة ومكتفية بذاتها في إنتاج المعنى ولا يحيل إلاّ عليها>>(34).

المبحث الرّابع: بارث بين نصّ الكتابة ونص القراءة :

أمّا بارث *، قد شكّلت طروحاته حول النصّ الانعكاس الحقيقي للتصوّر البنيوي في ذلك الوقت.ينطلق بارت في تعريفه للنصّ من الدلالة الاشتقاقية لمصطلح (Texte) بمعنى النسج أو النسيج،فهو يرى أنّ النصّ هو <<السّطح الظّاهري للنّتاج الأدبي،نسيج الكلمات المنظومة في التأليف والمنسّقة،بحيث تفرض شكلا ثابتا ووحيدا ما استطاعت إلى ذلك سبيلا>>(35) .

---

[32] صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، م س، ص 76.

[33] المرجع نفسه، ص 77 .

[34] نهلة فيصل الأحمد، التفاعل النصي، التناصية، النظرية والمنهج، اليمامة الصحفية، الرياض، ط 1، د ت،ص 101.

* يذهب عدنان بن ذريل في (النصّ والأسلوبية) أن لبارث مفهومين للنصّ ، يعود المفهوم الأول لأوائل الستينات في نظرية النص ، يعكس المفهوم التقليدي للنص ، وفي أوائل السبعينات يتبنى تعريف جوليا كريستنا الذي تذهب فيه إلى أظهار توالدية النص ، حيث يتوسع في وجهة النظر هذه في (من النص إلى العمل) .... ولا عجب بأن جهد بارث في علم العلامات واهتماماته بعلامية الأدب رجحت عنده الأخذ بالإعتبار الكرستيفي. بن ذريل، النص والأسلوبية،2000، ص 17.

[35] رولان بارث، نظرية النصّ، ترجمة فؤاد صفا، دار توبقال، المغرب، ط2001،1، ص 89.

يشكّل النصّ،في إطار هذا المفهوم نتاج تشابك وحداته المكوّنة له، بما يعطيه (شكلا–بنية) أو(هيأة)، يمثّل سطحه الخارجي، ومن حيث هو نسيج ،<<فهو مرتبط بالكتابة،ويشاطر التّأليف المنجز له هالته الرّوحية،وذلك لأنّه بصفته رسما بالحروف، فهو إيماء بالكلام وأيضا بتشابك النسيج>>(36) .

إنّ بارث بهذا المفهوم ، إنّما يؤكّد على أهمية الكتابة في تحقيق النصّ، الذي شكّلته مجموعة الإنساق في تماسكها وتجانسها المنطقي.إنّ ثبات النصّ بهذا الشكل لا يعني الجمود،لأنّ كمونه إنّما تحرّكه دلالاته عن طريق قابلية انفتاحه على القراءة، والتي تخرجه من حالة الكمون إلى حالة التحقّق ،أو من حالة التحقّق البصري إلى حالة التحقّق العقلي،ولكن ضمن حدود بنيته اللّغوية في نوع من الاستغناء عن مؤلّفه وسياقاته الخارجية المتعلقة به، و<<أنّ اللّغة هي التي تتكلّم وليس المؤلف >> (37) كما يقول بارث.

جنح بارت في السبعينات إلى مفهوم جديد للنصّ بعيدا عن الدلالة الاشتقاقية للفظ(Texte) متأثرا **بكريستيفا** وبالمنهج التّفكيكي،وقد تجلّت نزعته الجديدة في كتابه **<<**من النّص إلى الفعل>>،ولاعجب،فإنّ<<جهود بارث في علم العلامات واهتماماته بعلامية الأدب رجّحت عنده الأخ ذ بالاعتبار الكرستيفي>>(38)،حيث يبدو متعاطفا مع مبادئ التّفكيكية، ويحدّد موقفه من البنيوية بناء على ذلك، وهو ما يختزله فيمايلي:<<**1**. في مقابل العمل الأدبي المتمثّل في شئ محدود فإنّ(النصّ)هو مجرّد

---

[36] عدنان بن ذريل، النصّ والأسلوبي، م س، ص17.

[37] رولان بارث، درس السيميولوجيا، م س، ص 82

[38] عدنان بن ذريل، النص والأسلوبية، م س، 2000، ص 17.

نشاط، وأنّ وضع المؤلّف فيه هو مجرّد وضع احتكاك،وهو لا يحيل إلى مبدأ بداية ونهاية ، وإنّما يحيل إلى غيبة الأب ، وبالتّالي يبدّد مفهوم الإنتماء .**2**. يمارس النصّ التّأجيل الدّائم وإختلاف الدّلالة، فهو مثل اللّغة مبنى ،ولكّنه ليس مغلقا ولا متمركزا ، بل هو لا نهائي،لا يشير إلى فكرة معصومة بل إلى لعبة مخلعة،وهو لا يجيب على الحقيقة بل هو يتبدّد ازاءها .**3**. النصّ مفتوح،وإنّ القارئ المتلقي ينتجه في عملية مشاركة، وهذه المشاركة ليست في الاستهلاك،وإنمّا في اندماج القراءة والتّأليف ،في عملية دلالية واحدة،بحيث تكون عملية القراءة إسهاما في التّأليف،ناهيك بأنّ (النصّ) نوع من اللّذة، بل أنه واقعة غزلية>>**(39)**.

ينتقل بارت من<<نصّ الكتابة >> إلى<< نصّ القراءة >> ليتحدّد مفهومه في رحاب التلقي ،أي<<ضمن فلسفة الانفتاح القاضي بتوالي سيرورة التّدليل ،من خلال مجموعة من الدّوال التي تتفلّت من مدلولاتها بإطراد ،وبهذا لا يصبح النصّ مجربا كشئ محدّد يمكن تمييزه خارجيا ،وإنّما كإنتاج متقاطع يخترق عملا أو عدة أعمال>>**(40)**،وصولا إلى <<نصّ اللّذة>> أو المتعة،ونصّ اللّذة عند بارث هو << ذلك النصّ الذي يرضى،يفهم ويغبط،ذلك الذي يأتي من صلب الثّقافة ولا يقطع صلته بها>>**(41)**.

النصّ إذن<<ظاهرة لغوية >>:أي أنّ اللّغة هي مادته الأساسية،ومع ذلك يقيم النصّ لنفسه نظاما لا ينتمي انتماء تاما إلى نظام اللّغة أو النظام اللّغوي،ولكنّه

---

[39] عدنان بن ذريل، النص والأسلوبية، م س،ص 18 .

[40] صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النصّ، م س، ص 213.

[41] رولان بارت، لذة النص، ترجمة منذر عياشي، منتدى مكتبة الاسكندرية، مصر، ص 22 .

يظلّ دوما في تجاور واقتران،<< فاللّغة الأدبية التي يتمتّع بوضع فردي خاص من الوجهة السيميولوجية تجعل النصّ الأدبي لا يمكن اعتباره مجرّد ممارسة متعينة للنصّ اللّغوي، بل هو رسالة ناجمة عن نظام محدّد من المفاهيم والثغرات>>(42) .

استعار **بارث** تعريف **جوليا كريستيفا** للنصّ بإشارته إلى **الإنتاجية** و **التناصّ** معترفا بتأثّره بها ومن خلال <<تسجيله لأهميّة التّحليل الدّلالي في الكشف عن خصوصيّة النصّ وتميّزه، ليتطرّق للحديث عن مجموعة من المفاهيم النّظرية التي تحقّقت مع التّحليل الدّلالي ، وخلالها يبيّن هويّة النصّ وخصائصه، هذه المفاهيم المركزية هي الممارسة الدّالة،والإنتاجية والتّدليل ،والنصّ الظّاهر والمكوّن والتّناص ، مشدّدا على ريادة كرستيفا في هذا المضمار >>(43). لقد أدخل بارت كناقد بنيويّ بعض مبادئ العلاماتية في النّقد الأدبي ،وطبّقه على مفهوم النصّ << فليس الأدب في نظره إلّا لغة ،أي أنّه نظام من الإشارات>>(44)،أو شكلا يمثّل مظهره الخارجي.

شهد مفهوم النصّ عند بارث إنقطاعات كثيرة بسبب التّطوّر الذي ميّز مشروعه النّقدي عموما وتجربته السيميولوجية على وجه الخصوص،والتي بدت مسايرة للسيميولوجيا المعاصرة بمستوياتها النظرية والتطبيقية،وقد كان كتابه <<المغامرة السيميولوجية >> خير مثال على ذلك، حيث حدّد من خلاله مفهومه للنصّ بطريقة جديدة من خلال الإجابة عن سؤاله: ما النصّ؟ ليجيب:<<... النصّ بالمعنى الحديث والرّاهن الذي نحاول أن نجعله لهذه الكلمة يتمايز أساسا عن الأثر

---

[42] صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النصّ، م س، ص 215.

[43] سعيد يقطين، انفتاح النصّ الروائي، م س، ص 22.

[44] منذر عياشي، الخطاب الأدبي ولسانيات النصّ، المعرفة السورية، عدد مزدوج300-301،1978، ص 13 .

الأدبي، ليس منتوجا جماليّا بل ممارسة دالّة،ليس بنية وإنّما تبنين،ليس شيئا،إنّه عمل ولعب، ليس مجموع أدلة مغلقة ذا معنى ينبغي الإمساك به،ولكّن كتلة أثار متحوّلة...، وليس ركن النصّ الدلالة،وإنّما الدّال،بالمعنيين السيميوطيقي والتحليل – نصيي لهذه الكلمة>> (45).

المبحث الخامس: النصّ عند كرستيفا بين مفهوم الانتاجية ووظيفة التّناص:

يتجاوز مفهوم النصّ عند **جوليا كريستيفا** المقاربات البنيوية إلى المنظومة السيميولوجية.إنّ النصّ عند **كريستيفا** ليس مجموعة من الملفوظات النّحوية أو اللاّنحوية، إنّه << كلّ ما ينصاع إلى القراءة عبر خاصية الجمع بين مختلف طبقاته الدّلالية الحاضرة هنا داخل اللّسان والعاملة على تحريك ذاكرته التّاريخية.. .، وهذا يعني أنّه ممارسة مركّبة يلزم الإمساك بحروفها عبر نظريّة للفعل الدّال الخصوصي الذي يمارس لعبة داخله بواسطة اللّسان>>(46)،وهو ما يجعل التّحديدات اللّغوية غير كافية لبناء مفهوم النصّ ،لأنّها<<تقتصر على مراعاة مستوى واحد للخطاب هو السّطح اللّغوي بكينونته الدّلالية>>(47).

يكتسي مفهوم النصّ عن **كريستيفا** أهميّة خاصّة في الدّرس اللّساني السّيميائي الحديث،لأنّه ببساطة << يطعن في كفاية النّظر إلى هذا السّطح،ويبرز ما

---

[45] رولان بارث، المغامرة السيميولوجية، ترجمة عبد الرحيم درل، ط 1،1993، دار تينمل للطباعة والنشر، مراكش، ص13.
[46] جوليا كريستيفا، مدخل إلى عالم النصّ، ترجمة فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، المغرب، دت، ص14.
[47] صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النصّ، م س، ص211.

في النصّ من شبكات متعالقة >>(48) من جهة،ويحيل على اعتبار النصّ <<نمطا إنتاجيا دالا يحتلّ مكانة هامة في التّاريخ>>(49) ، من جهة أخرى .

تورد **كريستيفا** تعريفا جامعا للنصّ–أو يكاد يكون– من وجهة نظر تناصّية، فتحّدده<<كجهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللّسان بواسطة الرّبط بين كلام تواصلي يهدف إلى الإخبار المباشر ،وبين أنماط عديدة من الملفوظات السّابقة عليه والمتزامنة معه، فالنصّ إذن إنتاجية، وهو ما يعني:

أ/أنّ علاقته باللّسان الذي يتموقع داخله هي علاقة إعادة توزيع.. .،ولذلك فهو قابل للتّساؤل عبر المقولات المنطقية لا عبر المقولات اللّسانية الخالصة.

ب/إنّه ترحال للنّصوص وتداخل نصيّ، ففي فضاء نصّ معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى>>(50).

فالنص ابتداء هو(كلّ) مركّب يربط بين الطّبيعة اللّغوية والطّبيعة التّواصلية ، أي بين اللّغة والكلام لتحقيق وظيفة إخبارية ترجى من ورائها ، فيتحوّل بذلك مفهوم النصّ من(بنية جاهزة)إلى عملية(بنينة) تتحقّق بواسطة الاستعمال–التفاعل–الممارسة النصيّة في إطار عملية أو ثنائية هدم/بناء لتحقيق اختراق للنّظام النّحوي للخطاب ، وتغيير نسقه في نوع من الانزياح عن المعايير اللّسانية البح تقنحو حركية نصيّة – حركية المجتمع ضمن الممارسة الدّالة ،أي كنوع من الممارسة الاجتماعية التّاريخية

---

[48] صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النصّ، م س ، ص 211 .

[49] شرشار عبد القادر، تحليل الخطاب وقضايا النصّ، م س، ص 23.

[50] جوليا كريستيفا، مدخل إلى عالم النصّ، م س، ص 21.

عن طريق اللّغة نحو الإنجاز النّحوي والمعجمي للإمكانات التي تقدمها توليدية النصّ–اللّغة.

تقرن كريستيفا بين مستويين في النصّ : المستوى النصّ ي(الظاهر)أو(Pheno-texte) الذي يجسد الظاهرة القولية متجلية في البنية–الملفوظ،والنصّ–التكوّن–التخلّق (Geno-texte)،الذي يج سّد الصّورة المولّدة للدّلالة التي تعمل داخل اللّغة بطريقة دينامية ،مايجعل (النصّ) موضوعا للسّم يلاء التّحليلية كمنهج أو نظرية نقدية عند **كريستيفا**، انطلاقا من اللّسانيات في تحديد مفهومه، باعتباره (إنتاج لغة)،أي أنّه مرتبط باللّغة ومنغرس فيها كمظهر له بنية سطحية ، كما في التّصّورات الكلاسيكية للنصّ من جهة، ولكنّه يتجاوز ذلك إلى الدّلالة التّاريخية والاجتماعية المحمولة في المتن اللّساني، كتوليد وإنتاجية مسجّلة في الظّاهرة اللّسانية من جهة أخرى.

لم تكتف **كريستيفا** في تعريف النصّ بالتحديدات اللّغوية المباشرة تركيبا ودلالة، بل تجاوزت ذلك إلى إعتبار <<النصّ موضوعا لعديد من الممارسات السيميولوجية التي يعتدّ لها على أساس أنّها ظاهرة عبر لغوية ، بمعنى أنّها مكوّنة بفعل اللّغة، لكنّها غير قابلة للإنحصار في مقولاتها>>(51) .

تركّز **كريستيفا** في تحديد مفهوم النصّ على وحدتين أساسيتين تشكّلان معا وحدته الإيديولوجية: تتمثّل الوحدة الأولى في مجموع المقولات والملفوظات المتضمّنة في فضاء النصّ ، والتي تحيل على نصوص أو أجزاء نصوص أخرى ،وتسمّي **كريسيفا** هذه الوحدة بوظيفة التّناص ،ومن هنا يأخذ (التّناص) حيّزا مهمّا في تعريف

[51] صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النصّ، م س، ص 211.

النص عندها، بل وواحدا من المعايير النصّية الأساسية، لأنّه<<يعيد توزيع اللّغة من خلال تشغيل أو إشتغال لنصوص مستحضرة من الذاكرة داخل النصّ من قبل المبدع،بما يحقّق علاقات نصيّة جديدة ممتصّة من نصوص غائبة ، ولكنّها تصبح عن طريق الممارسة والكتابة جزء لا يتجزّأ من نسيجه النصيّ المعشّشة فيه،مع أن النّضج الحقيقي لأي مبدع لا يتم إلا بإستيعاب الجهد السابق عليه... ،وهو يعني وجود علاقة جماعية بين الخطاب الحاضر والخطابات الغائبة على مستوى الأفراد والتركيب، وعلى مستوى الشّكل والمضمون>>(52) .

تتجسّد (وظيفة التّناص) في عدّة مستويات في النصّ ،وتمتدّ على طول مادّة تشكّله التّاريخي والاجتماعي،باعتبار النصّ نشاطا وإنتاج<<يتكوّن-بالتالي-من نقول متضمّنة،وإشارات وأصداء لغات أخرى ،وثقافات عديدة تكتمل في خريطة التعدّد الدّلالي>> (53) .

إنّ إعادة توزيع نظام اللّسان ، إنّما مجاله النصّ في علاقته باللّغة عن طريق ثنائية: تفكيك-بناء،مع أنّ هذه العملية لا تكتفي بالمقولات اللّسانية لوحدها،بل تتجاوزها نحو مقولات منطقية أخرى، كالتي تسمّيها كريستيفا **الإنتاجية**،والتي تضمّ الممارسة الدّالة أو القابلة للتّدليل في ظلّ الاستعمال التّواصلي لتشكيل فضاء لغوي متعدّد المعاني والدّلالات ، بما يحقّق الجمع بين اللّغة/اللّسان من جهة ،وبين المسار

---

[52] محمد عبد المطلب، هكذا تكلم النصّ، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة،1991، ص 60.

[53] فولفانج هانيه، مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة فالحبن شيب، النشر العلمي، جامعة الملك سعود، السعودية، 1988، ص 61.

أو الممارسة الاجتماعية التي تساهم في تكوينه من جهة أخرى،أي يجمع في تكوينه بين المقاربة السوسيولوجية والمقاربة اللّسانية معا.

إن قصور المقاربات الكلاسيكية في الكشف عن خصوصية النصّ وماهيته ليستدعي ميلاد علم جديد كفيل بوعي حدوده و هويّته وسيكون هذا العلم الجديد هو السيميولوجيا<<التي تتعامل مع النصّ باعتباره أكبر من الخطاب ، ويتدرّج ضمن عدّة ممارسات سيميولوجية ينظر إليها كـ(عبر لسانية)... ،وبذلك، فالسّيميولوجيا تنظر إلى النصّ من حيث خصوصيّته الإنتاجية لا كمنــتوج ،ولكن كدليل منفتح ومتعـدّد الدّلالات يعكس المقاربات التقليدية>> (54).

ولمّا كانت اللّغة مادة النصّ الأساسية المكوّنة لمتنه النصيّ، فإنّ نظرية التّحليل الدّلالي التي اعتمدتها **كريستيفا** في تحديد مفهوم النصّ تنطلق ابتداء من اللّسانيات،ومع ذلك فهو يتجاوزها لسبب بسيط –توضح كريستيفا–<< أنّ النصّ ليس مظهرا لسانيا،بمعنى أنّ دلالته المبنيّة لا تتقدّم إلينا في إطار متن لساني منظورا إليه كبنية مسطحة، إنّه توليد (Engendrement)مسجّل في هذه الظّاهرة اللّسانية >> (55) باعتبار الظاهرة اللّسانية تتجاوز اللّغة كنظام إلى اللّغة في التّداول والاستعمال .

[54] سعيد يقطين، انفتاح النصّ الروائي، م س، ص 20.

[55] المرجع نفسه، ص 21.

الفصــل الثّانـي:

مفـهوم النّص عند المحدثين العرب.

تمهيد : 23

المبحث الأوّل: إشكـالية النصّ عند عبد اللّه الغذامــي : من النّقـد الأدبي إلى النّقد الثّقافي:..... 27

المبحث الثّاني: مفهوم النصّ عند محمّد مفتاح : 39

المبحث الثّالث: عبد الملك مرتاض ونظرية النصّ:..... 47

الفصل الثّاني: مفهوم النصّ عند العرب المحدثين:

تمهيد:

يصعب الحديث عن مفهوم النصّ في الدّراسات النّقدية العربية الحديثة دون إثارة إشكالية **الرّؤية** إزاء مصطلح النصّ وقضاياه في الدّرس اللّساني الغربي الحديث خصوصا، والتي [هذه الرؤية] تضع الممارسات التّحليلية والمقاربات النّصية العربية على المحك ، من خلال وجهات نظر متباينة تتعلّق كل منها بموقفها من المشروع الحداثي بشكل عام،والمشروع النصّي على وجه الخصوص.

لقد ذهب بعض النّقاد العرب المعاصرين إلى عقد نوع من المصالحة التّامة مع الثّقافة الغربية، وبالتّالي فلا اعتراض على ما جاءت أو جادت به هذه الحداثة من مناهج ومفاهيم على إطلاقها، بل وانحلالهم فيها ،ودفاعهم عليها ،بحجّة أنّ الثّقافتين العربية والغربية ثقافتان متماهيّتان،بحسب هذا التوجه،رغم ما تحمله الثّقافة الغربية في واقع الأمر من خصوصية البيئة المصطلحية والخصوصية المنهجية والمرجعية الفكرية والتّوجه الأيديولوجي في مجال العلوم الإنسانية عموما ، والدراسات اللسانية بوجه خاص، مع<<أنّ ما اشتملت عليه الثّقافة العربية من مفاهيم في هذا الإطار ،يعد حداثة من حيث الماهية تضاهي ماهيات الحداثة الغربية باستثناء الاختلاف في المسميات>> **.(1)**

ونتيجة لهذا التّوجه، أصبحت محاولات بعض هذا الفريق من نقادنا المحدثين صدى متأخرا للمناهج النّصيّة الغربية بعيدا عن طبيعة الثّقاف تين والبيئتين ونظرة كلّ منهما إلى النصّ.

---

[1] **سعيد الغانمي، تأصيل الماضي، تأجيل المستقبل، مجلة الأقلام، ع 6 – 7– 8، 1994، ص 61.**

ثم وجدنا من م ال–في النّظرة إلى النصّ–إلى التمسّك بالموروث أو التّراث الثّقافي العربيّ مع إمكانية الاستفادة من منتوجات الحضارة الغربية،بما يحقّق التّواصل مع هذا التراث واستثماره، وينهي أسباب القطيعة المعرفية ونتائجها معا ،ما أدى إلى ظهور أصوات نصيّة تدعو إلى ضرورة التميّز والاستقلال الذّاتي، في محاولة لتأسيس مشاريع نصيّة عربية انطلاقا من تراثنا اللّساني بواقعه وبيئته الثقافية،وبما يمتلكه من مفاهيم نقدية وممارسات نصيّة كفيلة بتحقيق هويّة عربية للنصّ في غير تبعية مفاهيمية أو مصطلحية أو منهاجية،بالرّغم من التّعويم الذي ساد الواقع النّقدي واللّساني العربي بمفاهيم ومناهج غربية عن طريق الترجمة أو عن طريق النّقل و الإطلاع المباشر.

فلقد<<انتقلت عدوى الأعمال الشّكلانية الروسية الطيّبة >>[2]–على حدّ تعبير مرتاض–بفضل التّرجمة إلى اللّغات الحيّة،إلى الدّرس اللّساني والنّقدي العربي الحديث، فكان لها بذلك دور –مؤثّر وموجّه تارة،ومستفزّ تارة أخرى–، في معظم المقولات النّقدية النّصيّة العربية تنظيرا وتطبيقا ،وهو ما انعكس على مفهوم النصّ وماهيته في كتابات أكثر نقّادنا المعاصرين الذين لا يذكر النصّ،في مجال الدّرس اللّساني العربي الحديث إلاّ محاثيا لهم، منهم –على سبيل المثال لا الحصر –: محمد مفتاح، وعبد الله الغذامي وصلاح فضل، ونور الدين السدّ وسعيد يقطين وعبد الملك مرتاض... ،وغيرهم،وإن غلب عند كثير منهم الجانب التّطبيقي على الجانب التّنظيري التأصيلي<<مما يجعل

[2] عبد الملك مرتاض، نظرية النصّ الأدبي، م س، ص42

التّنظير للنصّ الأدبي في النّقد العربي المعاصر الجديد كأنّه يظلّ بكرا ،إذا استثنينا مقدّمات لكتب ومقالات متفرّقة في المجلاّت العربية هنا وهناك>>(3) .

المبحث الأول: إشكالية النصّ عند عبد الله الغذامي بين النقد الأدبي والنقد الثّقافي:

يعيش النّقد العربي الحديث باتجاهاته ومدارسه المختلفة وفي جزء كبير منه على منجزات النّقد الغربي، في نوع من الاغتراب أو التّغريب الهوياتي عن جذوره الثقافية ،ما جعله بذلك يعيش تبعيّة خانقة للنّقد الغربي من جهة، وليواجه من جهة أخرى ،إشكالية أساسية تكمن في محاولة الخروج من هذا التّيه الحداثي والهوس بالآخر من أجل التأسيس لمشروع نقدي يعبّر عن هويّة النصّ العربي وخصوصي ته،وهويّة البيئة الثّقافية التي أنتجته ، وتميّزهما.

وفي خضم بعض الأصوات الواعية التي تدعو إلى إمكانية أو ضرورة الرجوع، للاستفادة من مكنونات المدونة العربية التّراثية للخروج من هذا التيه والتأسيس لنظرية نقدية عربية في مستوى أصالة هذا التراث ومستوى إنجازات نقاده القدامى و تطلّعاتهم، بدأ يطفو على السّطح في الاتجاه ا لآخر بعض الممارسات النّقدية ال عربية هي في الغالب صدى متأخر لمدارس نقدية غربية تحاول أن تجمع شتات ا أو تؤسّس لمشروع نقدي جديد يجري التّرويج له اليوم في أروقة المثقّفين العرب هو النّقد الثّقافي.

يمثّل مشروع النّقد الثّقافي<< افتتانا جديدا بمشروع غربي تخطّته الأحداث داخل الثقافة أو الثقافات التي أنتجته>>(4)،وهذا المشروع هو في أصله امتداد لمشروع

[3] عبد الملك مرتاض، نظرية النصّ الأدبي، م س، المرجع نفسه، ص 43.

[4] عبد العزيز حمودة، الخروج من التيه، عالم المعرفة،الكويت ، 2004، ص 351 .

النّقد الثقافي لما بعد البنيوية الذي نادى به ودعا إليه الباحث الأمريكي **ليتش**، مهمّته المعلنة فتح أفاق جديدة لتجاوز الحدود التي رسمتها الشّكلانية الرّوسية والنّقد الشّكلاني الذي حصر الممارسات النّقدية داخل إطار الأدب، أمّا مهمته المضمرة،فهي الدّعوة إلى التحرّر من أي مرجعيّة علمية أو عقلية في العملية النّقدية بـأكملها،كمظهر من مظاهر العولمة،في اتّجاه إحداث نوع من القطيعة مع النقد الأدبي باسم الحداثة عن طريق الهيمنة والإحلال.

قد يكون عبد اللّه الغذامي * أوّل من تبنّى مفهوم النّقد الثّقافي ودافع عليه نظريا وممارسة،حينما عبّر أكثر من مرّة،وفي أكثر من مناسبة عن قصور النّقد الأدبي في استغراق الظّواهر الثّقافية العربية والتّصدي لها ، بما في ذلك النصّ الأدبيّ ذاته، باعتباره ظاهرة أدبية لسانية ثقافية، وهو ما تناوله في كتاب ه<<النّقد الثّقافي:قراءة في الأنساق العربية >>حينما<<عرّف فيه النّقد الثّقافي كفرع من فروع النّقد النّصوصي العام،ومن ثمّ، فهو أحد علوم اللّغة وحقول الألسنية ،معنى بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثّقافي بكلّ تجليّاته وأنماطه وصيغه>>(5) .

وبالرّغم من أنّ منحى الغذامي هذا قد شكّل نقلة نوعية في مجال النّقد العربي الحديث، ضمن رؤية جديدة لمجمل القضايا النّقدية الحديثة،ومنها قضية النصّ، بتركيزه على النّقد النّصوصي النّسقي في مقاربة النّصوص ،وفق منهج نقدي ينصرف إلى استبطان النصّ في دلالاته المضمرة أو الضّمنية،جامعا بذلك بين الممارسة النّقدية من

* إقتصرنا في إثارة مفهوم النص عند الغذامي على بعض من مؤلفاته خصوصا،الخطيئة والتفكير، تشريح النص ، المشاكلة والاختلاف، النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية.

[5] عبدالله الغذامي، النقد الثقافي: قراءة في الأنساق العربية، المركز الثقافي العربي، المغرب ، ط3 ،2005، ص.84.

جهة والممارسة النّصية من جهة أخرى، إلا أنّه أثار جدلا في أوساط النّقاد والمثقّفين العرب في مجالي الأدب والنقد*.

وسواء كان الغذامي يرى في النصّ مجالا للنقد الثقافي،أو يرى في النّقد الثّقافي علم نصّ جديد يستوعب معالجة الظّاهرة النّصيّة بفعالية تتجاوز قصور النّقد الأدبي، فإنّه<<يعمد في حقيقة الأمر إلى النفخ في مفهوم النصّ نفسه وتضخيمه ليوازي ويوازن حجم ثقافة بأكملها، فلم يعد النصّ في منظوره نصّا جماليا فحسب، لكنّه أيضا حادثة ثقافية>>(6)،وهو مفهوم واسع يتجاوز النّظرة إلى النصّ وجماليته إلى النّظرة إليه بوصفه حامل أنساق مضمرة تتأبىّ على القراءة الأدبية لارتباطها بدلالات مجازية تتشكّل في إطار الممارسة الثّقافية للّغة، وليس نصّا بدلالات صريحة.

*** يقول الغذامي:<< ونحن لو تمعنا في (ديوان العرب) بناء على مفهومنا حول الأنساق المضمرة لوجدنا أن الشعر كان هو المخزن الخطر لهذه الأنساق ، وهو الجرثومة المستترة بالجماليات والتي ظلت تفعل فعلها وتفرز نماذجها جيلا بعد جيل ، ليس في الخطاب الشعري فحسب بل في كل التجليات الثقافية بدء من النثر الذي تشعر من وقت مبكر ، وكذا الخطاب الفكري والسياسي والتأليفي بما فيه النقدي ، وكذلك أنماط السلوك والقيم ولغة الذات مع نفسها ومع الأخر ، لقد تشعر نت الأنساق وصرنا فعلا الأمة الشاعرة واللغة الشاعرة وتباهينا بهذه الصفات ليس سوى خدعة نسقية لم نع ضررها ص 88 ، النقد الثقافي).**

لقد أدى النقد الأدبي دورا مهما في الوقوف على جماليات النصوص وفي تدريبنا على تذوق الجمالي وتقبل الجمالي النصوصي ، ولكن النقد الأدبي مع هذا أو على الرغم من هذا أو بسيه أوقع نفسه وأوقعنا في حالة من العمى الثقافي التام عن العيوب النسقية الخبيثة من تحت عباءة الجمالي وظلت العيوب النسقية تتنامى متوسلة بالجمالي ، الشعري والبلاغي ، حتى صارت نموذجا سلوكيا يتحكم فينا ذهنيا وعمليا.... وحتى صارت نماذجنا الراقية بلاغيا هي مصادر الخلل النّسقي ... وبما أن النقد الأدبي غير مؤهل لكشف هذا الخلل الثقافي ، فقد كانت دعوتي بإعلان موت النقد الأدبي وإعلال النقد الثقافي مكانه (النقد الثقافي ، ص 8 (المقدمة)) في حركة مرحلية فقط لأنه نصّ بنيوي [...] والبنية كما رأينا شمولية / ومتحولة وذات تحكم ذاتي والنص بتحرك داخليا بحركة مفهمة بالحياة كي يكون بنيته الوجودية ليكون له هوية تميزه ، فإذا ما تميز فإنه يتحرك كاسرا لحواجز النصوص ليدخل مع سواه في سياق يسبح فيه كما تسبح الكواكب في مجراتها >>.الغذامي، الخطيئة والتكفير، ص 90، ما يجعل للنصّ مستويين متلازمين: داخلي وخارجي، وإن كان لكل منهما محدداته وعناصره ومؤسسين معا لوجود النصّ وهويته .

[6] عبد الله الغدامي، النقد الثقافي، م س، ص 78 .

ينظر هذا المفهوم إلى الثّقافة العربية برمّتها باعتبارها(نصّا) ضخما متنوّع الوجوه والدّلالات. إنّ النصّ الأدبي في نظر الغذامي <<بنية لغوية مفتوحة البداية ومغلقة النّهاية،لأنّ حدوثه نفسي لا شعوري وليس حركة عقلانية... ،ولذلك فالنصّ بنية شمولية لبنى داخلية من الحرف إلى الكلمة إلى الجملة إلى السياق إلى النصّ ، ثمّ إلى النّصوص الأخرى..، ليكون بعد ذلك الكتاب امتدادا كاملا للحرف>>(7)* .

ينطلق الغذامي في مفهومه للنصّ من تحديد علاقته بالأدب إبتداء ،لأنّ النصّ بهذا المفهوم وضمن هذه العلاقة حسب **الغذامي** هو <<محور الأدب الذي هو فعالية لغوية انحرفت عن مواضعات العادة والتقيّد،وتأسّست بروح متمرّدة رفعتها عن سياقها الاصطلاحي إلى سياق جديد يخصّها ويميزه >>(8) .

يركّز الغذامي على وظيفة النصّ الأدبيّة من ضمن باقي الوظائف التي ذكرها **جاكبسون** في خطّاطته السّداسية ،وذلك<<حين يصبح القول اللّغوي أدبا،وهو تحوّل فنيّ يحدث للقول فينقله من الاستعمال الفني إلى الأثر الجمالي >>(9)،فيجعل وظيفة النصّ من وظيفة اللّغة التي تشكّل مادته الأساسية ،لأنّ <<خير وسيلة للّنظر

---

[7] عبد الله الغدامي، النّقد الثقافي ، م س، ص 90.

*_يورد الغذامي، بناء على تعريف بياجيه للبنيوية ، بعض خصائص البنية التي تنشأ من خلال (وحدات) تتضمن أساسيات ثلاث هي: 1. الشمولية، 2 .التحول، 3. التحكم الذاتي . فالشمولية تعني التماسك الداخلي للوحدة ، بحيث تصبح كاملة في ذاتها وليست تشكيلا لعناصر متفرقة ... وإنما هي خلية تبيض بقوانينها الخاصة التي تشكل طبيعتها وطبيعة مكوناتها الجوهرية ... ولذا فالنسبة تختلف عن الحاصل الكلي للجمع ... ولذلك فبالنسبة غير ثابتة وإنما هي دائمة التحول وتظل تولد من ذاتها بنى دائمة التوثب ، والجملة الواحدة يتمخض عنها آلاف الجمل التي تبدو جديدة مع أنها لا تخرج عن قواعد النظم اللغوي للجمل ، وهدا (التحول) يخضع لتحكم ذاتي من داخل البنية فهي لا تحتاج إلى سلطان خارجي لتحريكها. (الغدامي،الخطيئة والتكفير، ص 32) .

[8] عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير: من البنيوية إلى التّشريحية، الهيأة المصرية العامة للكتاب القاهرة، 1998، م س، ص 06 .

[9] المرجع نفسه، ص08.

في حركيّة النصّ الأدبيّ وسبل تحرّره ، هي الانطلاق من مصدره اللّغوي،حيث كان مقولة لغويّة أسقطت في إطار نظام الاتصال اللّفظي البشري>>(10)،من خلال حركية النصّ وديناميّته في إطار اتصالي تواصلي،<< يتحوّل فيه القول اللّغوي من (رسالة) إلى (نص)، ولا يصبح هدفها (نقل الأفكار) أو المعاني بين طرفي الرسالة ، ولكنّها تتحوّل لتصبح هي غاية في نفسها ، وهدفها هو غرس وجودها الذّاتي في عالمها الخاصّ بها ،وهو جنسها الأدبيّ الذي يحتويها >>(11)، ممّا يحقق للنصّ هويّة ويعطيه نصيّة ذاتيّة أو ذاتية نصيّة.

وباعتبار النصّ حدثا تواصليا ذا وظيفة أدبيّة في نظريّة الاتصال، يؤكّد **الغذامي** على أهمية عنصر اللّغة وخطورتها في عملية التّواصل اللّساني . أمّا في إطار المقاربة (البنيوية) فيشير **الغذامي** إلى رأي القرطاجنيّ في هذا الموضوع<< الذي يركّز على أن اللّغة هي لبّ التّجربة الأدبية وهي حقيقتها ،وعلى أنّ الإبداع يكمن في توظيف اللّغة توظيفا جماليا يقوم على مهارة الاختيار وإعادة التّأليف ،وهي عناصر المدرسة البنيوية>>(12) .

ورغم تأكيده على مرجعية اللّغة في تكوين النصّ وبنائه وتوجيه معناه ، إلاّ أنّ الغذامي تجاوزها ،باعتبار<<النصّ يصدر من ناسخه(كاتبه) كإشارات متعاقبة مأخوذة من مستودع اللّغة >> (13)،فينتقل من اللّغة كنظام مجرّد إلى اللّغة مضافا إليها مستعملها ومقاماته،وينتقل من المعجمي إلى الدّلالي ،ومن اللّفظة المعزولة إلى الإشارة

---

10 عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير:من البنيوية إلى التّشريحية، م س، ص 6.

11 المرجع نفسه، ص 8.

12 المرجع نفسه، ص 16.

13 المرجع نفسه، ص 72.

المتكرّرة في مجال الدّلالة وتعدّد المعاني وتحرّرها،ما يعطي للنصّ صفة التحوّل والحركة، ولكن في غير فوضى ولا جمود.

تركيبيا،يتكوّن النصّ من وحدات صغرى تمثّل الجملة واحدتها، ويعرّف الغذامي الجملة،بأنّها<< أصغر وحدة أدبية في نظام الشّفرة اللّغوية للنصّ الأدبي المدروس ....، وهي تختلف كلّ الإختلاف عن الجملة النّحوية ، لأنّ جملتنا هنا ، هي قول أدبي تامّ لا تحدّه حدود النّحو[...] . إنّ الجملة،لا بدّ أن تكون متميّزة من حيث أنّها مختلفة عمّا سواها، ومن حيث أنّ وجودها ينشأ من العلاقة بينها وبين ما سواها من جمل،[... ومن هنا تكون الجملة عبارة عن ...] بنية صغرى تتحرّك متّجهة نحو مثيلاتها لبناء البنية الكبرى التي هي النصّ الشامل[..] والعلاقة بين البنية الصغرى والبنية الكبرى هي علاقة عضوية حيوية ومكينة وليست حالة أجنبيّة طارئة>>(14).إنّ الحديث عن الوحدة العضوية في هذا المقام، لا يخرج عن مفهوم التّماسك والتّناسق بين وحدات النصّ وعناصره،بما يحقّق وحدته تركيبا وانسجاما.

يصدر النصّ في مفهوم الغذامي ،ما أسفلنا ،من ناسخه أو مؤلّفه ،كإشارات متعاقبة مأخوذة من مستودع اللّغة، وهذا معناه، تحوّل مفهوم اللّغة من البنيوي الصّوري إلى السيميولوجي،أي<<أنّ اللّغة نظام أشاريّ سيميولوجي،والكلمة إشارة ،تقف في الذّهن على أنّها دالّ يتميّز في الذهن مدلولا ، وبهذا تصبح الكلمة في التجربة الجمالية إشارة حرّة تمّ تحريرها على يدي المبدع ،الذي يطلق عتاقها ويرسلها صوب المتلقي للتّفاعل معها بفتح أبواب خياله لها، ليحدث في نفسه أثرها الجّمالي >>(15)،وهو مايعني،وجود

---

[14] عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير:من البنيوية إلى التّشريحية، الهيأة المصرية العامة للكتاب القاهرة، 1998، م س، ص 91 .

[15] عبد الله الغذامي، تشريح النصّ، م س، ص 18.

علاقة متينة بين النصّ ومتقليّه، باعتبار النصّ أثر لإشارات محرّرة في سياق مفتوح ضمن شفرته بناء على معطيات بنائه من جهة ،وباعتبار القارئ بنية في حدّ ذاتها،يتجلىّ مفهوم النصّ وكينونته في رحابه ،من جهة أخرى ،من دون إغفال لدور المؤلّف وأهميّته، وإن كانت بنسبة متفاوته.

إنّ دراسة أيّ نصّ أدبي يمرّ حتما عبر تناول مبدعه ومؤلفه <<لأنّنا نحتاج إلى سبر هويّة السّياق الرّئيسي للكاتب ،لنعرف من خلال ذلك ،كيف نفسّر نصوصه ...، ومعرفة السّياق وإدراكه بهذا الشّكل عملية ضروريّة لتذوّق النصّ وتفسيره>> **(16)**.

وفي تفسير غير معهود لعلاقة النصّ بناصّه،يذهب الغذامي إلى أنّ المؤلف لا يكتب عمله، وإنّما << هو ناسخ نسخ النصّ بيده ،مستمدا جهده من اللّغة التي هي مستودع إلهامه... ولا وجود للمصدر إلاّ من خلال النصّ ،ولولا النصّ،ما كان المصدر ... ونحن لا نعرف المتبني – يقول الغذامي – إلاّ من خلال شعره.. فالنصّ إذن ،هو الأصل وليس المؤلّف>>**(17)** ، وهي– في نظرنا– معادلة معكوسة تجعل الجزء أهمّ من الكلّ كما تجعل الأصل يتبع الفرع ،وهو أمر عجبا،ويزول هذا العجب إذا عرفنا أن هذا الرأي قد يكون مبنيا على مبد أ بارث<<أنّ اللّغة هي التي تتكلم وليس المؤلّف >>، وهي العبارة التي تحيل على تأثّر الغذامي به و بمقولته المشهورة (موت المؤلّف).

يؤكد الغذامي على السّياق كعنصر مهمّ في تحقيق وظائف الرّسالة المنوطة بها، ويعرّفه بأنّه <<المرجع الذي يحال إليه المتلقي كي يتمكن من إدراك مادة القول ، فهو ملازم للرسالة/النصّ ومؤسّس لكينونتها ،باعتباره الرّصيد الحضاري للقول وهو مادة

---

16 **عبد الله الغذامي، تشريح النصّ، م س، ص 11.**

17 **المرجع نفس، ص 72.**

تغذيته بوقود حياته وبقائه ،ولكل نصّ أدبي سياق يحتويه ويشكّل له حالة إنتماء وحالة إدراك>>(18)،وكأن هوية النصّ بهذا المفهوم لها قطبين :أوّلهما الإنتاج –المؤلّف، وثانيهما الإدراك–التّلقي– القارئ .

وتفاديا لفرضية الاحتواء والسّقوط<< يسعتين المؤلّف –كما يقول الغذامي – بالشّفرة،والتي تمثّل اللغة الخاصّة بالسّياق،أي أنّها الأسلوب الخاصّ بالحسّ الأدبي الذي ينتمي إليه النصّ الأدبي ...،وبهذا نصل إلى تصوّر حركة (الرسالة) في سبيل تحوّلها إلى (نص)،فهي تتّجه أولا نحو ذاتها ، معتمدة على السّياق لتحقيق انتمائها وغرس وجودها في داخل ظرفها ،وهو جنسها الأدبي،وتركز على (الشفرة) لتأسيس هويّتها الخاصّة>>(19).

وبناء عليه ،تشكّل البنية والتّركيب والتّماسك والسّياق والشّفرة أو الأسلوب محدّدات ملازمة للنصّ عند الغذامي ومؤسّسة له،وبالخصوص،المحدّدين الآخرين:السياق والشفرة اللّذين يحقّقان بإتّحادها هويّة النصّ،<<فالنصّ من جهة ،–يقول الغذامي –يوجد هويّته بواسطة شفرته(أسلوبه)،ولكنّ هذه الهويّة لا تكون بذي جدوى إلاّ بوجود السياق، فالسياق ضروري لتحقيق هذه الهوية >>(20)،وهذا أمر أكّدنا عليه سابقا ،ولكن إعادة التأكيد هنا نابعة من كونهما <<يشكّلان معا مصطلحا واحدا يضمهما ويوحدهما، ثم يتجاوزهما، وهو مصطلح الشاعرية (Poetique)>>(21)،والتي تعني جمالية الشّيء وطاقته التّخييلية وتحدّدهما،بالإضافة إلى ذلك ، فهي تبحث في إشكالية البناء اللّغوي ،

[18] عبد الله الغذامي، تشريح النصّ، م س، ص 8.
[19] عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير، م س، ص 10.
[20] المرجع نفسه، ص 10.
[21] المرجع نفسه، ص 18.

ولكنّها لا تقف عند حدّ ما هو حاضر وظاهر من هذا البناء، << وإنّما تتجاوزه إلى سير ما هو خفي وضمني،ولذلك،فإنّ كثيرا من الخصائص الشّاعرية لا يقتصر انتماؤها إلى علم اللّغة،وإنّما إلى مجمل نظريّة الإشارات،أي إلى علم السيميولوجيا العام>> (22)، وبناء اللّغة*.

وإذا كانت الأسلوبية لا تهتمّ إلاّ بما هو داخلي في النصّ الأدبي فقط،أي بلغته بمستوياتها المختلفة،فهي << تقوم على توصيف الخصائص القولية في النصّ،وهي تتناول ما هو في لغة النصّ فقط، ولا يعنيها ما تنشأ في نفسية المتلقي من أثر –كما يقول تودوروف –،وهذا لا يقوم كأساس وا ف لإدراك أبعاد التّجربة الأدبية ،ومن ثمة تفسيرها. فالنصّ الأدبي يحمل أكثر ممّا هو في ظاهره، والموجود من عناصره ليس سوى إنعكاس للمفقود منها،وهذا المفقود ،هو إمكانات يقترحها النصّ على القارئ الذي يتولىّ إتمامها>> (23)،ولذلك،لا يتحقّق معنى النصّ هو ما يجعل النصّ بالإنتاج فقط، وإنّما<<يتحقّق بالإنجاز بعد التلقيّ في ظلّ شاعرية كانتهاك متعمّد لسنن اللّغة

---

[22] عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير، م س، ص 20.

[*] يقول الغذامي في (المشاكلة والإختلاف، ص 28):... فاللغة في البدء أصوات دالة بتواطؤ . كما يقول الغزالي ، وهذه الأصوات الدالة كألفاظ تؤسس (البنية الصوتية) ، ومنها تقوم الكلمات التي تفرز (البنية المعجمية) ، وهذا هو الحد الذي يقف عنده المعنى كشئ إصطلاحي يحدده الظرف والمعجم ، أي أنه تصور ما قبلى للخطاب ولكن تأتي بعد هاتين البنيتين بنية ثالثة هي الجملة التي تتحقق بتأليف الكلمات في نظام نحوي يقرن عناصر الجملة في سياق داخلي بتأسيس من معنى جديد للكلمات غير معناها الإصطلاحي ، وهذه البنية هي (البنية التركيبية) ويتمخض عن ـها بنية رابعة هي (البنية الدلالية) التي هي ناتج ما يفرزه السياق من معاني و عناصر الجملة مجتمعة في نظام محدد ، والعلاقة بين هذا الناتج الدلالي وتركيب الجملة هي علاقة وجود ،إذ لو تغير نظام التركيب تغيرت الدلالة تبعا لذلك التغير مما يجعل تنمية هذه البنى الأربع ترتكز على صورتها القائمة وبالأخص البنية الثالثة [البنية التركيبية] لأنها بنية إنتاجية وليست بنية تغبيرية، ص 28).

[23] عبد الله الغدامي، الخطيئة والتكفير، م س، ص 22.

العادية>>(24)،كما يقول جاكبسون ، يتحوّل النصّ بذلك من السّكون إلى الحركة ،ومن الكمون إلى التوتّر ،ومن اللّغة إلى فعالية لغوية << لأنّ للنصّ الأدبي وجود دائم ...، فمبدعه يطلقه في فضاء اللّغة سابحا فيها إلى أن يتناوله القارئ ويأخذ في تقرير حقيقته>>(25) وإنتاج دلالاته وبناء معناه.

أمّا في علاقة النصّ بالمعنى، في وكّد الغذامي أنّها علاقة تسام وتعال للنصّ فوق المعنى<<لأنّ المعنى هو جزء من الصفات اللاّحقة ...،ممّا يجعل البنية الدّلالية في النصّ تقوم على (فلسفة غائبة)،على النّقيض من التصوّر القديم لوظيفة النصّ التي تفرض العلنية في اللّغة وتعتبر أنّ للظّاهرة اللغوية حقيقة ما قبلية يسبق الجوهر فيها الوجود>>(26)،وهي إشارة هادئة إلى مقصدية النصّ وغرض مؤلّفه فيه.

يفرّق الغذامي في هذا المجال بين المعنى المتعلّق إبتداء بغرض المؤلّف،وبين الدّلالة كإفراز يتجدّد بتجدّد القراءة، ولذلك،فهو يفرّق بين الأدبية والنّصوصية ،حينما يقرّر<< أنّ أي نص يتكوّن من الشّكل×المعنى: فهو بالضّرورة خطاب غير أدبي. أمّا النصّ الذي يتكوّن من:الشّكل×المعنى×الدّلالة ،فهو نصّ أدبي... وهذا الأخير هو موضوع الدّرس الأدبي ومجال القراءة الّشاعرية>> (27) .

وتلخيصا لما سبق ،يحدّد الغذامي أهم العناصر الملازمة للنصّ أو المؤسّسة له، ولأبعاده الجمالية،منها<<:1/التّركيب والتّأليف في مقابل (المفردة) التي تمّ رفضها، وصار مجموع الكلام هو مجال المقارنة والتّشريع وهذا يساوي البنية. 2 . باطن الدّلالة

---

[24] عبد الله الغدامي، الخطيئة والتكفير، م س، ص 23.

[25] المرجع نفسه، ص 24 .

[26] عبد الله الغذامي، المشاكلة والإختلاف ، م س، ص 35

[27] المرجع نفسه، ص 44.

في مقابل ظاهرها ، حيث الظّاهر هو المعنى ، أمّا ما يتلو ذلك فهو معنى المعنى، وهذا يساوي دلالة الغيّاب .3. التّأثير ،حينما تتجاوز الجمل أثرها الجمالي الناتج عن تركيبها،وهذا يساوي الأثر عند التّشريحيين .4.مفهوم الإشارة، هو مفهوم أخذ به الجرجاني ونصّ عليه، حينما عرّف اللّغة بأنّها(تجري مجرى العلامات والسمات) ،وهذه الأسس تمثّل مشروعا نظريّا عن البنية النّصوصيّة تقتضي تمكين النصّ من التفتّح الدّلالي،وتقدّم إمكانات تفسيريّة(تأويلية) تعزّز المعاني وتنتجها ،وهذا كلّه تصوّر نظريّ متطوّر ،يرفع النصّ ويكرّس سيّادته على المعنى ،وليس المعنى في هذه الدّلالات كلّها إلاّ إفرازا للنصّ وليس العكس>>(28) *.

أمّا عن التّناص، ف يرى الغذامي بأنّ كلّ نصّ أدبي هو << انبثاق عمّا سبقه من نصوص، تماثله في جنسيه الأدبي >> (29) ،مع أنّ التّناص ،كظاهرة أدبية ،<< ليست عملية داخل جنسيّة، بل هي ظاهرة عابرة لكلّ الأجناس ، فللنصّ بصفة عامّة، يصنع من كتابات(على عمومها) متعدّدة منسجمة من ثقافات متنوّعة>>(30). فإذا كان المبدع يكتب أو ينتج النصّ انطلاقا من لغته وأسلوبه بطريقة شعورية أو لا شعورية<< فإنّ هذه الكتابة لا تحدث بشكل معزول أو فردي، ولكنّها نتاج لتفاعل ممتدّ لعدد لا يحصى

---

[28] عبد الله الغذامي، المشاكلة والإختلاف، م س، ص 41 .

[*] وبهذا المفهوم الواسع يتناول الغذامي تعريف النص فيقول في المشاكلة والإختلاف: .. البنية لا تقف عند حد التأليف بين علاقاتها، وهي ليست مجرد شكل وعلاقة وترتيب، ولكن البنية إضافة إلى ذلك ، تقوم على أسس من التساند والتكامل، وهما متماسكان (ص32)، ... والنصّ هو شبكة دلالية متلاحمة من حيث البنية وم رفتحة من حيث إمكانات الدلالة (المرجع نفسه، ص5)، والمعنى سابق على النص ومتعال عليه وحكمه إصطلاحي معياري... ، أما الأثر فلاحق للنص وناتج عنه وحكمه جمالي وصفي (المرجع نفسه،ص 20)، والنصّ بنية نصوصية مركبة (المرجع نفسه ص 35).

[29] عبد الله الغدامي، الخطيئة والتكفير، م س، ص 9.

[30] المرجع نفسه، ص 72.

من النّصوص المخزونة في باطن المبدع ، ويتمخّض عن هذه النّصوص جنين ينشأ في ذهن الكاتب يتولّد عنه العمل الإبداعي الذي هو النصّ >>(31)،وتذكّرنا فكرة (الجنين) بمفهوم تخلّق النصّ عند كريستيفا وفكرة النواة الدّلالية عند محمد مفتاح.

إنّ النصّ في نظر الغذامي، ليس ذاتا مستقلّة أو مادّة موحّدة، ولكنّه<< سلسلة من العلاقات المترابطة مع نصوص أخرى، ونظامه اللّغوي مع قواعده ومعجمه جميعها تسحب إليها من الآثار والمقتطفات من التاريخ، ولهذا ، فالنصّ يشبه في معطاه معطى جيش خلاص ثقافي بمجموعات لا تحصى من الأفكار والمعتقدات المستعارة شعوريا أولا شعوريا... ،وكلّ نصّ حتما نصّ متداخل،وهذه المداخلة تتمّ مع كلّ حالة إبداع لنصّ أدبي، ولا وجود للنصّ البرئ الذي يخلو من هذه المداخلات >>(32)،ما ينسف فكرة الصّفاء الأدبي نسفا،تماما كما يقوّض فكرة الإبداع الأدبي المطلق من أركانه وقواعده ، إذا قصدنا بالإبداع الأدبي إنتاجا أدبيا على غير مثال سابق.

يشيد الغذامي بجهود جاكبسون في تعزيز أدبيّة الأدب ،حينما<< اسعتار النموذج الاتصالي ونقله من الأعلام إلى النظرة الأدبية>>(33)، ويقصد بذلك خطاطته السّداسية ، و لكنّه يضيف لها من الناحية الإجرائية عنصرا آخر،هو ما يسمّيه الغذامي ب. (العنصر النّسقي)،<<ففي هذا الإجراء ستكتسب اللّغة وظيفة سابعة تبعا للعنصر النسقي السابق ،وهي الوظيفة النّسقية ،إضافة إلى وظائفها الستّ الأولى المرتبطة بالعناصر الستّة وهي:النّفعية،التّعبيرية،المرجعية،المعجمية ،والتّنبيهية،والشّاعرية(

[31] عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير، م س، ص 13.
[32] المرجع نفسه، ص 13.
[33] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، م س، ص 65 .

الجمالية)...، وهذا يمثّل مبدأ أساسيا من مبادئ النقد الثقافي>>(34)، وبناء عليه، ينظر إلى النصّ بوصفه<< حادثة ثقافية وليس متجلى أدبيا فحسب>>(35).

المبحث الثّاني: مفهوم النصّ عند محمد مفتاح.

يرى محمّد مفتاح أنّ<< النصّ مدوّنة حدث كلامي ذي وظائف متعدّدة >>(36)، ما يجعل النصّ، في أساسه (كلاما)،أي لغة في الاستعمال والتّداول، وهو يقع كحدث في حيز زماني ومكاني محدّد لا يتكرّر كظاهرة لغويّة بطريقة مطلقة وبنفس المعايير والمميّزات، تماما كما الحدث التّاريخي أو الظّاهرة التّاريخية.

يضيف مفتاح على التّعريف السّابق وظيفتين ويضفي عليه سمتين : فهو<<تواصلي يهدف إلى توصيل معلومات ومعارف ونقل تجارب ...،وتفاعلي...، على أنّ الوظيفة التّواصلية في اللّغة ليست هي كلّ شيء ، فهناك وظائف أخرى للنصّ اللّغوي، أهمّها الوظيفة التّفاعلية التي تقيم علاقات اجتماعية بين أفراد المجتمع وتحافظ عليها (37)،أمّا من ناحية السّمات، فالنصّ مغلق: ونقصد بالإنغلاق–يقول مفتاح– << سمته الكتابية الأيقونيةالتي لها بداية ونهاية، ولكّنه من النّاحية المعنويّة ...: توالديّ...، إن الحدث اللّغوي ليس منبثقا من عدم ، وإنّما هو متولّد من أحداث تاريخيّة ونفسانيّة ولغويّة...وتتناسل منه أحداث لغويّة أخرى لاحقة له>> (38)، ومعنى ذلك أنّه يزاوج في مفهوم النصّ بين الشّكل والمضمون، باعتباره حدثا كلاميا من ذات معيّنة يؤدي وظيفة

---

[34] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، م س، ص 65

[35] المرجع نفسه، 65 – 66.

[36] محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، إستراتيجية التناص، ط 2، بيروت 1996، ص 120.

[37] محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، م س، ص 120.

[38] المرجع نفسه، ص 120.

الإبلاغ،ضمن الإطار التّواصلي التّفاعلي،وهو ما يعطيه بهذا الشّكل،معنى بنيويّا وبعدا تداوليّا أيضا، يهدف من خلاله إلى إقامة تفاعل دينامي بين النصّ وكاتبه ومحيطه ، بما فيه قارءه ومتلقّيه .

فلمؤلّف النصّ ابتداء دور في تحديد النصّ وبيان معناه ومقصده، << لأنّ مرجع النصّ –كما يقول مفتاح –له دور حاسم في تشكيل النصّ >>(39) في نوع من الجنوح إلى ظلال بعض المناهج والمذاهب السيّاقية كالنّفسية والاجتماعية والثّقافية ، وعلاقة ذلك كلّه بالنصّ،ذلك<<أنّ المبدع حينما يختار وجهة ما،فإنّ خياله يتّجه نحو شبكة معيّنة لخلق معان تعطي فضاء للنصّ، وتجعل المحلّل ينشئ شبكة منّظمة من القراءات...،فبدون الكشف عن الشبكات جميعها وآليات اشتغالها،فإنّه لن يصل إلى جوهر النصّ الأدبي، وإنّما يشتغل على هامشه وبجانبه>>(40) ، فلا يذكر النصّ دون مؤلّفه، ولا دون متلقّيه و إن كان ضمنيا .إنّ المقصديّة في النصّ أو في العمل الأدبي عنصر أساسي في توجيه (فعل المتكلّم) ،وعنصر مهمّ في توجيه (ردّ فعل المتلقيّ) أيضا،ما يجعلها مرتبطة بمختلف أطراف العملية الّتواصلية بأبعادها التّداولية ، ومحقّقة لديناميّة النصّ بين الإنتاج والتّلقي والتّأويل.

تعني<<دينامية النصّ >>عند مفتاح عملية التحوّل الذي يحقّق التّفاعل والتّواصل بين النصّ ومنتجه ومتلقّيه ،والتي تتجسّد من خلال بعض المصطلحات والمفاهيم الأساسية كالنواة الدّلالية والتّماسك والتشعّب والحوار الدّاخلي والخارجي ،

[39] محمد مفتاح، النصّ من القراءة إلى التنظير ، شركة المدارس للنشر والتوزيع ، ط1 ، 2000 ، ص 12.
[40] المرجع نفسه، ص 30 .

والإنتظام الذي يتمثّل في بنية النصّ بمستواه الظّاهر(إتّساق النصّ وتماسكه) ،وبمستواه الباطن (البنيات العميقة المشتركة) .

لقد<<إستعار مفتاح مفهوم الدينامية من البيولوجيا التطوّرية التي يتمّ بفضلها التّواصل والتّفاعل بين الكائنات الحيّة وإسق اطها أجرائيا على النصّ الأدبي ، مستعملا في أثناء تحليلاته مصطلحات مجاورة مثل:النموّ والحوار والتّناسل والصّراع والحركة والسيرورة والإنسجام ، وهذه المفاهيم ترجع كله، –كما يقول مفتاح –إلى مقولة جامعة هي الدينامية>>(41)، وقد طوّع هذا المفهوم في اتجاه معالجة النّصوص، والذي بدأ جليّا من خلال عنوان كتابه<<دينامية النصّ>> الذي حاول فيه تحديد مفهوم النصّ انطلاقا من عنصري الانسجام والدّيناميّة ذاتها .

يرتبط مفهوم الانسجام في مشروع مفتاح النصيّ بالتّشابه والانتظام والتّعالق والتّكرار، كخصائص أو صفات لازمة لمفهوم النصّ ومؤسّسة له، << فالنصّ بمفهومه الاصطلاحي يقتضي وجود انسجام بين أجزائه>>(42)،بل هو ضرورة ثابتة في تعريف النصّ وفي تكوّنه مهما بدا خلافا لذلك،<< لأ نّ النصّ له مؤلّف ،وله متلق في مقتضيات أحوال ...،بل إنّ مقتضيات الأحوال هي التي تصنع النصّ إلى حد بعيد، ومن ثمّة، صار الاهتمام بتداول النصّ أمرا ملحّا ...،وعلى هذا ،يمكن أن نسمّي نصّا منسجما بالنّسبة إلى تأويل معطى ،إذا كانت العلاقة الدّاخلية في النصّ الذي منحت له (تلك العلاقة)تحتوي الظّهور الصّريح،أو المتوقّع لكلّ حالات الأشياء في حصيلة نهائية

[41] محمد مفتاح، دينامية النصّ، تنظير وانجاز، المركز الثقافي العربي، ط4، 2010، ص 07.

[42] المرجع نفسه، ص162 .

للتّأويل...،وعلى هذا، فإنّ كلّ نصّ منسجم مهما تراءت فوضويّته وعبثيّته وعدم التحام أجزائه>>(43) .

وبناء عليه ، وتفعيلا لما سبق ، يمكن الحديث ضمن هذا الإطار على مفهومين لهما علاقة مباشرة بمفهوم النصّ نظريا وبنصيّته في المستوى التطبيقي ، يتعلّق الأوّل **بالمقصديّة**،ويتعلّق الثّاني **بالانسجام** ، وبمستوياته المختلفة.

يتحدث مفتاح عن مفهوم القصدية– في النصّ–في إطار البعد التّداولي للنصّ ، لأنّ الباحثين جميعهم يجعلون المميّز الأساسي بين لغة الإنسان وغيره هي المقصدية . بيد أنّ هذه المقصدية لا تقتصر على المتكلّم ،ولكنّها تشمل المخاطب أيضا ...، إنّها <<مهما اختلفت وجهات النّظر في كيفية تناولها، مجمع على وجودها ، لأنّها تكسب الكلام دينامية وحركة ، بل هي منطلق الدينامية >>(44)،وقد بيّن **مفتاح** قبل ذلك تلك الإختلافات<<مبرزا الفروق بين مقصدية بارث الجذرية صراحة أو ضمنا،وبين مقصدية غريماس المسبقة أو مقصدية **أوستين** و **سورل** الميكانيكية الموجّهة ، ليفرد لها في الأخير مفهوما خاصا ، بإعتبارها ما يكمن ويحكم ، من معتقدات ومقاصد وأهداف ، فعل الكلام الصادر من متكلم إلى مخاطب في مقتضيات أحوال خاصة>>(45).

أمّا مفهوم الانسجام فلا يقلّ أهميّة عن مفهوم القصديّة،إذ به تتحقّق كينونة النصّ.بيد أن هذا الانسجام لا يقتصر على مستوى في النصّ دون آخر،فلا يختص بالتركيب مثلا دون الدلالة ولا بالدلالة دون التركيب ،ولكنّه يشمل النصّ في مستوياته المختلفة<<إذ يتحقّق على المستوى اللغوي والعاملي والزمني والهدفي... ، فعملية النصّ

[43] محمد مفتاح، دينامية النصّ، تنظير وانجاز، م س، ص 44.
[44] المرجع نفسه، ص 39.
[45] المرجع نفسه، ص 193.

التوليدية تسير في تدرّج تنازلي حسب خطاطة محكمة ، محكومة بالفضاء وبالزمان، فارضة عملية الإنتاج والتأويل>>(46) .

وإذا كان ظهور النصّ وكينونته لا تتجلىّ إلاّ من خلال الانسجام دلالة،فإنّ هذا الأخير لا يمكن دراسته مبتورا عن مفهوم أخر متصل به وملازم له يحقق ظهور النصّ وكينونته تركيبا، إنّه مفهوم الالتحام كما يسمّيه مفتاح ،ذلك<< الذي يستشف منه التنضير والتنسيق:ومع أنه من الصعوبة بمكان الفصل بين هذين المفهومين فإننا سنفعل ذلك مواضعة. إنّنا نعني بالتنضير –يقول مفتاح–الجمل التي نجد فيها أدوات العطف ومختلف الروابط الأخرى التي تعلق الجملة بجملة، وبالتنسيق:العلاقات المعنوية والمنطقية بين الجمل حيث لا تكون هناك روابط ظاهرة بينها >> (47). ثم إن استعمال مفتاح لمصطلح **(توالدي)** في سياق حديثه عن النصّ، يجعله بشكل أو بآخر نقلا لاصطلاحات كريستيفا المنبثقة أساسا من اجتهادات الشّكلانيين الرّوس، حين جعلت النصّ المولّد في مقابل النصّ الظّاهر، ففرّقت بذلك بين (البنية) وبين(البنينة) في مقابل البنية السّحطية والبنية العميقة للنصّ، كما يسميّها **شومسكى** .

من جانب آخر، يقحم مفتاح مصطلح التّناص في تحديد مفهوم النصّ غير بعيد عن مفهومه في الفكر الغربي ، وخصوصا عند كريستيفا ، حينما<< يعرّف النصّ الأدبي بأنّه عبارة عن هدم وإعادة بناء بقصد غالبا>> (48)، انطلاقا من نواة ما أو شئ ما سابقا عليه أو معاصر له، ومع ذلك يبقى وفيا لبعض المفاهيم والمعتقدات الثقافية العربية، حينما يقرّر<< أنّ مفهوم الإبداع المطلق وليد التّيارات الرومانسية والرّمزية ...

---

[46] محمد مفتاح، دينامية النصّ، تنظير وانجاز، م س، ص 31.

[47] المرجع نفسه، ص 44.

[48] محمد مفتاح، النصّ من القراءة إلى التنظير، م س، ص 25.

إنّ استعمال مفهوم الإبداع يعبّر عن موقف ما،وقد يصادفه كثير من الصعوبات حينما يطلق في الثّقافة العربية>> (49)، وهو ما يجعل القضية الإبداعية برمتها قضية نسبية بامتياز ،بما في ذلك النصّ والمعنى الأدبيين،وقد تزداد نسبيته إذا ما نظر إليه من زاوية الموروث الأدبي العربي الإسلامي والخلفيات المتحكّمة في ذلك الموروث << وليس ذلك بضائر الثّقافة العربية الإسلامية إذا حوكمت من قبل مفاهيم وتصوّرات ومسلّمات المركزية الأوروبية الحديثة والمعاصرة >> (50) .

إنّ الحديث عن النصّ بوصفه عملية هدم وبناء انطلاقا من نواة ما يقود حتما إلى إثارة الحديث عن إشكالية الدّلالة والتأويل في النصّ الأدبي ،أو كما يسميّها مفتاح، بناء على نظرية (بورس) ،المؤوّلة(Interpretant)والسّيرورة الدّلالية اللامتناهية (semiosis)،<< فكلّ ما يأتي بعد النّواة مؤولة، وهكذا ، في عملية غير متناهية على مستوى الإمكان ، وفي عملية متناهية بمؤولة نهائية على مستوى النصّ ، ورغم كلّ هذا،فالنصّ يقدّم زناد التّأويل،وحينما يبدأ التأويل يكوّن ديناميته الخاصّة به تبعا لعواطف المتلقي ومعرفته ومشاغله وأهدافه ، ولغاياته ، وللتّمثيل الذاتي ،ولمراعاة المتلقيّين، ولظروف التّلقي>>(51)، ليعطي بذلك النصّ بعدا آخر،أي بعدا تداوليا في رحاب المتلقي.

وابرازا لأهميّة التّناص في تحديد مفهوم النصّ وتكوّنه، يرى مفتاح<< أنّ كلّ نصّ ينبغي أن ينظر إليه بادئ الأمر في ضوء تقسيم أكبر وهو: أ/ علاقته بالّنصوص

---

[49] محمد مفتاح، النصّ من القراءة إلى التنظير، م س، ص 25.

[50] المرجع نفسه، ص25 .

[51] المرجع نفسه،ص31.

الخارجيــة، **ب/**. تفاعل النصّ مع نفسه مما يؤدي إلى تشعبه >>(52)،وقد عبّر مفتاح عن نظريّة التّناص –في دينامية النصّ خصوصا –بالحوارية،وقد يشمل هذا الحوار مستويات النصّ المختلفة،أي داخليا وخارجيا .

يتجلىّ الحوار الدّاخلي–حسب مفتاح–<< في توالد النصّ وتناسله (53)>>، ونموه داخليّا وفق مجموعة من الميكانيزمات، بحيث يكشف النصّ بواسطته عن أبعاده الجمالية والذّاتية والاقناعية ، ضمن شبكة من العلاقات الداخلية بين مختلف عناصره ووحداته،ويمكن تناول هذا الجانب انطلاقا من المفاهيم التّالية: الكلمة ،المحور،الرّابط، المنطلق،الجملة،القنطرة،والجملة، الهدف والحوار المباشر أو الحوار اللاّ مباشر، والحوار الأفقي والحوار العميق>>(54)،كما يقول مفتاح .

أمّا الحوار الخارجي ،فهو<<ما يكون بين نصّ ما ونصوص أخرى متعدّدة المصادر والمستويات والوظائف>> (55)، أي العلاقة القائمة أو التي يمكن إقامتها بين نصّ مركزي ونصوص فرعية ، تعاضدا أو تنافرا، تلاقيا أو افتراقا، مع<< أنّ ضروب الحوار المشار إليها سواء كانت معجمية (علاقات خصوص بعموم،ومحتوى بمحتوى ، وجزء بكل، وسبب بمسبب)،أم جملية (علاقة التناقض والتضاد، التضمن في النفي والإثبات وشبه التضاد) ،أم علاقة بين متحاورين،فإنّها محكومة بشرط (إنطولوجي) هو انسجام النصّ >>(56)،ومع ذلك ، يجنح مفتاح نحو تنظيرات وأراء النّقاد الغربيّين مرة

---

52 **محمد مفتاح، النصّ من القراءة إلى التنظير، م س، ص 09.**

53 **محمد مفتاح، دينامية النصّ، م س، ص103 .**

54 **المرجع نفسه، ص 106 .**

55 **المرجع نفسه، ص 103 .**

56 **المرجع نفسه، ص 99 .**

أخرى، فيذكر باختين وبارث وكريستيفا ،وخصوصا عند قراءته لنظرية التّناص وأهميته في تحديد مفهوم النصّ و معايير نصيته،أو في علاقته بعملية الإبداع كما ألمحنا سالفا ([3]) فيقرّر أنّ هؤلاء ينظرون مع بعض الاختلاف إلى أن النصّ ...،هو إعادة إنتاج وليس إبداعا محضا، وإنّما كلّ نصّ هو معضد أو قالب لنصّ اخر سابق عليه أو معاصر له... ،فقد وظّفت نظريّة التّناص لنسف بعض مقولات المركزية الأوروبية ، مثل مقولة الحضور ومقولة الانسجام ومقولة الحقيقة المطلقة ، التي يحتويها النصّ ويحيل عليها، وأثبتت <<أنّ أي نصّ هو عبارة عن نسيج من أحداث آتية من هنا وهناك : من الشعر ومن الكتب المقدسة ومن لغات الحياة اليومية>> (58) .

وبناء على مجموعة المقاربات الاستقصائية لمفهوم النصّ وديناميته في الثّقافتين العربية والغربية، يرى مفتاح << أنّ دلالة النصّ في المفهوم العربي والغربي تختلف ، ولكنّها تتقاطع، فدلالة النصّ في المفهوم العربي تجتمع مع الدّلالة الغربية في بعض المواطن، وتختلف معها في مواطن أخرى>>(59)،مع أنّ هذا الاختلاف هو أمر طبيعي وصحيّ خصوصا مع تعدد المناهج النّقدية و اختلاف أدواتها الاجرائية ومفاهيمها ومصطلحاتها،وفي البيئة الواحدة نفسها،إلاّ أنّه يقرّ <<أنّ المقاربة السّيميائية الدّليلية هي

[3] في عرض مقابلته بين التناص والإبداع يتطرق مفتاح إلى نظرية التناص في التراث العربي، مبينا أن هده الظاهرة الأدبية لم تكن غائبة في الثقافة العربية القديمة ، أي في ممارسات النقاد العربي القدامى الذين [تنبهوا إلى علاقة المماثلة والمشابهة بين الأشعار فوازنوا بينها ثم صاغوا مفاهيم للتعليل والتفسير، كما كونوا بابا مهما في النقد العربي سمي بالسرقات التي إحتلّت حيزا مركزيّا في الكتب البلاغية والنّقدية (محمد مفتاح،النصّ من القراءة إلى التنظير، م س ص 24).

[58] محمد مفتاح، النصّ من القراءة إلى التنظير، م س، ص 25.

[59] محمد مفتاح، المفاهيم معالم، نحو تأويل واقعي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 1، 1991، ص 32.

الملائمة لمختلف النّصوص بسيطة ومعقّدة، مكتوبة أو غير مكتوبة >>(60)،ليؤّكد في الأخير أنّ هذه المقاربة قد تكون بعيدة المنال ،إلاّ أنّها قد فتحت أفاقا جديدة للبحث في مجال النصّ عربيّا وعالميّا.

المبحث الثالث : عبد الملك مرتاض و نظرية النصّ :

و بالرّغم من أنّ عملية التّنظير للنصّ الأدبي تبقى، إجرائيا على الأقلّ، قضية إشكاليّة وإمكانية نسبيّة،باعتبار النصّ الأدبي بنية مفتوحة على أكثر من عنصر وأكثر من مستوى وأكثر من سياق،إلا أن مرتاض استطاع في كتابه<< نظرية النصّ الأدبي>>خصوصا،أن يحقّق مسحا شاملا لمجمل قضايا النصّ الأدبي المركزيّة وما تعلّق بها أو علق، من مفاهيم وإجراءات منهجية ،ضمن نظرية شاملة ،تتدرج في إطار مشروع نقدي متكامل ، يجمع بين القراءة الواعية للتّراث العربي والاستيعاب العميق لقضايا الحداثة ومنتجات و مكتسبات الحضارة المعاصرة في مجال العلوم الإنسانية والدّراسات اللّسانية على وجه التحديد.

إنّ أوّل ما يمكن ملاحظته لدى عبد الملك مرتاض في كتابه (نظرية النصّ الأدبي)،هو إلحاقه صفة (الأدبي) للنصّ في عنوان كتابه ذاك، مما جعل بحثه ابتداء مركّزا عليه،فيخرج من دائرة بحثه بقيّة أنواع النّصوص،كالنّصوص القانونية والإشهارية، وغيرها من النصوص التي لا تتوفّر فيها صفة الأدبيّة، باعتبار هذه (الأدبية) صفة ملازمة للنصّ الأدبي ومؤسّسة له.

إن ربط النصّ بالأدبيّة ،يعدّ في حقيقة الأمر إجراء منهاجيا في الدّراسة النّقدية لقضيّة النصّ برمتها ،<<ربّما ترشيدا لمقولة بارت النّقدية التي تجعل كل مظهر من

---

[60] محمد مفتاح، المفاهيم معالم، نحو تأويل واقعي،م س، ص 45 .

مظاهر التعبير نصّا >>(61)...، <<أي تحديدا لمجال الدّراسة نفسها ، فتتجاوز بذلك اللّوحة الزّيتيّة والقطعة الموسيقية واللّفظيّة والسّينمائية، وغيرها ، ولذلك ، ترانا نذكر – يقول مرتاض–النصّ الأدبي في الغالب مع صفته الأدبية حتى لا نتيه في مفاهيم أخر لما يقع من حولها الاتفاق على كلّ حال>>(62) .

تغدو هذه الأدبيّة جزء أصيلا من هويّة الأدب والنصّ الأدبي بالتّحديد ، رغم زئبقية المفهوم ومرونته،مع<<أنّ المعضلة–يقول مرتاض–،لا تكمن في معرفة موضوع الأدب الذي هو ألتماس الأدبية،ولكن في كيف يمكن تحديد ما هو أدبي في النصّ،أي معرفة الخصائص والمكوّنات الجمالية والفنّية والشّكلية التي تجعل من هذا النصّ أدبا رفيعا، أي عملا أدبيا مشهورا بأدبيته>>(63) .

أنشأ **جاكسبون** مصطلح الأدبيّة هذه حديثا ورمى بها في معترك الخطاب النّقدي واللّساني الحديث حينما قرّر أن موضع الدراسة الأدبية ليس هو الأدب ولكن الأدبي،أي ما يجعل منه إبداعا أدبيا ، بالرّغم من صعوبة تحديد مفهوم قار أو مشترك بين التّيارات النّقدية الحديثة بسبب اختلاف نظرة كل تيار له بحسب إيديولوجيته؛ إلا <<أنّ المؤكد أنّ هذا اللّفظ أو أحد معادلاته ظلّ يصطنع للدّلالة على الكلمة التي يجب أن تبعث اللّذة أو الفائدة في نفوس المستمعين والقراء >>(64)،ومعنى ذلك أنّ الأدبيّة لا تعتمد النصّ وحده دون القارئ ولا القارئ بمعزل عن النصّ وصاحبه ،وإنّما تعتمد التكافؤ الموجود بينهما ،بما يحقّق هوية للنصّ ووظيفةله في المجتمع،وكأنّ <<

[61] عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، م س، ص 49
[62] المرجع نفسه، ص 47.
[63] عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، م س، ص59 .
[64] المرجع نفسه، ص 57

هذه الفائدة أو المنفعة (Interet) تلازم الأثر الأدبي ملازمة حتميّة فتقع للقارئ وقوعا حتميّا أيضا >>(65) من جهة، وفي نوع من الإحساس باللّذة الفنيّة أثناء مباشرة قراءة النصّ وتلقيّه من جهة أخرى ،<< فإذا انعدمت هذه اللّذة من أدب ما –يقول مرتاض–، فالأمر لا يخلو أحد أمرين: إمّا أن يكون الأدب فاقدا للأدبيّة... ،وإمّا أنّه أدب حقّا ، ولكنّ قارءه ليس في المستوى الفنّي والثّقافي الذي يتيح له تذوّق جمل هذا النصّ الأدبي، كأيّ مظهر من مظـاهر الفـنّ والجمال>> (66).

ثم يطلّ علينا مرتاض كعادته ناقدا وباحثا ، ليحدّد بعناية موضع الأدبية في تراثنا القديم، مؤكّدا <<أنّ النّقاد العرب أومأوا إلى ما يعادل النّظرية الأدبية كاستعمالهم لبعض هذا المعنى ال يإكبسوني:(حسن الديباجة)،وقد وصفوا شعر النابغة الذبياني بأنّه(كان أحسنهم ديباجة وأكثرهم رونق ماء). ويصرف المرزوقي الشعر العربي العبقري بأنّ "في حواشيه رونق الصفاء: لفظا وتركيبا >>(67)،مايجعل لهذه الأدبيّة دورا في تحديد مفهوم النصّ،بل يجعلها جزء أصيلا في تكوينه قديما وحديثا.

من جانب آخر أثر مرتاض أن يكون المقابل اللّغوي للفظة (Texte) في اللّغات الأجنبية (النّسج) في اللّغة العربية وذلك لترابط الدالّين لغويّا وتطابقهما بطريقة مباشرة لا ضمنية كما في لفظة (نص)*،وهوما جعل مرتاض لا يتوانى عند حديثه عن مفهوم

---

65 عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، م س، ص 58 .

66 المرجع نفسه، ص 58.

67 المرجع نفسه، ص 60.

*.. مع أن التطابق يكاد يكون تاما بين دلالة مصطلح (ة) في اللغات الأجنبية بجذورها اللاتينية ، ودلالة مصطلح (النسيج / النسج) في اللغة العربية فقد إستعمله النقاد العرب القدامى في معاجمهم تماما كما في ممارستهم النصية ، بما يؤكد معرفتهم بهذه العلاقة ، فقد ربط العربي بين النسج والشعر والتصوير بإعتبار كلاها صناعة وإبداعا وما يعني ذلك من ترابط وتأليف وتماسك وتناسق وتفرد مستعملين لفظ (النسيج) و(النسيج) ومشتقاتهما بما يطابق

النصّ البدء بالمعنى المعجمي الإشتقاقي للفظ (ن ص ص)في التّراث العربي ،ليخلص في الأخير <<أنّ اخر معجم موثوق ألّف في العربية ذكر النصّ بمعنى : صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤّلف>>(68) ،ليعرج بعدها مباشرة إلى تحليل (هذا المعنى) باشتقاقه اللّغوي في اللّغات الأجنبيّة ،فيذكر<<أنّ أصل الاشتقاق والوضع في معظم اللّغات الأروبيّة الحديثة بإتفّاق يعني النسج>>(69) ،مع أنّ لفظ (النسج) هذا نفسه، لم يكن أكثر حظّا من لفظ (نصّ) في اللّغة العربية،وهو الرأي الذي تبنّاه مرتاض، باعتباره الأقرب للدّلالة على مفهوم النصّ على خلاف عدد كبير من النّقاد العرب المعاصرين.

يورد مرتاض بعض تعليقات بارث حول هذا المفهوم ،فيروى << أنّ أصل النصّ هو النّسج ...أو أنّه ستار من الحكم المسبق يتوارى من ورائه،بشكل أو بآخر المعنى، الحقيقة...،وشيئا فشيئا أصبح هذا النّسيج العجيب يحتمل في جوانبه فكرة مخصبة ، حيث ينتجز النصّ من القيّم والدّلالات ،ويتهيّأ عبر متشابكات من الأبعاد واللأحياز... ، في هذا النسيج >> (70)،أي في هذه العناصر المكوّنة لأجزائه.

دلالة لفظ ( ) بالمفهوم الحديث في اللغات الأجنبية . فلقد أورد الفيروز أبادي في القاموس المحيط ، مادة (نسج) : [نسج الكلام : لخصه وزوده " ما يعطي لمفهوم النسج معنى الصناعة والتأليف . ويقول الجاحظ في (الحيوان) ج 1 ص 131: (إنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير) . وقد أورد إبن طباطبا العلوي في عيار الشعر (تحقيق محمد سلام زعلول ، المعارف ، ط 3 ، ص 20) كلاما يشبه ما تقدم فه الفيروز أبادي والجاحظ فيقول : ... والشاعر الحاذق كالنساج الحاذق وكالنقاش الرقيق الذي يصنع الأصابع في أحسن تقاسيم نقشه) ، وهذا يدل على أن العرب قد عرفوا النص ومارسوه مفهوما وشكلا وقد ترقى تلك الممارسة لنظرية للنص بالمفهوم الحديث أو (تعني وجود نظرية للنص عند العرب) ، جميل عبد المجيد ، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، (د ط) 1998، ص 74.

[68] عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، م س، ص 45 .

[69] المرجع نفسه، ص 45.

[70] المرجع نفسه، ص 46.

أورد مرتاض مقارنة بين مصطلحيّ نصّ/نسج،باعتبار كليهما تأليفا وصناعة وإبداعا،وبناء عليه،يؤكّد<<أنّ النصّ مثله مثل الذي يكتب كلاما وهو يبدع فيما يكتب حين يركب الحروف بعضها فوق بعض، وينسج لغة الكلام بعضها من حول بعض وفي نشدان الجمال وفي حبك الأسلوب عبر النصّ الأدبي الذي هو بصدد إقراره . ....النصّ في رأينا – يقول مرتاض –نسج أنيق من الألفاظ الصامتة التي تحتمل المعاني في ذاتها . ...النصّ هو نسج الألفاظ بجمالية الإنزياح وأناقة النّسيج وعبقريّة التّصوير>>(71) ليقرّر في الأخير،وبعد مناقشة إشتقاق لفظ (نص) أنّ مدلول النّسج في اللّغات الأروبيّة إنطلاقا من أمهنّ اللاّتينية،قد يكون أكثر ملاءمة للدّلالة على معنى النصّ وحركته المّادية وعطائه السخيّ،و <<أنّ نسج حرف بإزاء حرف ولفظ حذاء لفظ، وجملة بجانب جملة، ثم فقرة وراء فقرة ، حتىّ يقوم نصّ ما من الكتابة ،لهو ما يشكّل صميم عملية النسيج... ،ذلك بأنّ أصل الوضع الإشتقاقي في وضع اللّغة العربية لتركيب (**ن س ج**)،هو ضمّ الشيئ إلى شيئ آخر أو تركيب شئ فوق شئ آخر، طولا وعرضا>>(72).

يصبح النصّ بهذا المفهوم (نسيجا من الكلام)،مع أنّ هذا المعنى كما أسلفنا ليس غريبا في معاجمنا التّراثية ولا في ممارسات نقّادنا القدامى النصية،وهو نفس ما ذهب إليه محمد الهادي الطرابلسي في قوله :<< فالنصّ والنسيج في بعض الوجود يلتقيان، ففي اللّسان مادة (نصص) و(نسج): <<النصّ: جعل المتاع بعضه على بعض، والنسج: ضمّ الشيء إلى الشيء.

---

[71] **عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، م س، ص47.**

[72] **المرجع نفسه، ص50.**

فالأوّل تركيب والثاني ضمّ ،والتّركيب والضمّ واحد >>(73)،وهو ما أكده الزناد حينما أورد مفهوما للنصّ بإعتباره علامة كبيرة ذات وجهين : دال ومدلول... فالنصّ نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض>> (74) .أما اصطلاحيا،فيعرّف مرتاض النصّ بإعتباره<< شبكة من المعطيات اللّسانية والبنيويّة والإيديولوجيّة ، تتضافر فيما بينها لتكوّن خطابا. فإذا إستوى، مارس تأثيرا عجيبا من أجل إنتاج نصوص أخرى>> (75) .

وبناء عليه تتعدّد مصادر تعريف مرتاض للنصّ وتتنوع ما بين **البعد اللّساني** و**الخلفية البنيوية** من جهة ،وما بين معطيات المرجعية الإيديولوجية التي يبدو من خلالها النصّ انعكاسا لطموحات الايديولوجيا ارتباطا بسياقها العام وبنظامها الكليّ في نوع من أنواع النّزعة المنطقية الجانحة إلى بعض المذاهب الواقعية التي تحركها الايديولوجيا من جهة أخرى،ما يجعل مفهوم النصّ بهذا الشّكل محصّلة لتصوّر شمولي تتنازعه اتجاهات مختلفة وفق بعد منهجي مركّب ، بما يحقّق مفهوما مخالفا، بوصف النصّ جملة من الإمكانات القابلة للتحقّق اجتماعيا ولغويّا وإبداعيّا ، أي وفق تصوّر شموليّ متكامل ومتحرّر من إكراهات أيّ من المناهج النّقدية ، ليقرّر أو يقرّ– مرتاض–بقصور المنهج البنيوي الصّوري في النّظر إلى النصّ نظرة شاملة ومتكاملة.

يجنح مرتاض في تعريف النصّ إلى مفهوم أكثر شمولية راكبا من جديد مناهج نقدية جديدة وأكثر حداثة، كالمنهج السّيميائي والمنهج التّفكيكي،وقد تحيل هذه (

---

[73] الأزهر الزناد، نسيج النصّ، بحث فيما يكون به الملفوظ نصّا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993، المقدّمة، ص 6.

[74] المرجع نفسه، ص 12.

[75] عبد الملك مرتاض، دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي، لمحمد العيد، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، (د ت)، ص 55 .

الشّمولية)وهذا الجنوح إلى تحفّظ مرتاض على علمنة النصّ وعدم اقتناعه بامكانيّة تعريفه تعريفاعلميا صارما ودقيقا، لأنّ النصّ من المرونة والزئبقية ما يجعله يتجاوز التّدقيق والتّحديد، مؤكّدا في الوقت نفسه على عبثية علمنته وضبطه ضبطا نهائيا، << فعبثا- يقول مرتاض -يحاول الذين يعلمنون النصّ أن يتّخذوا لكتابته أو لقراءته علما صارما كلّ الصّرامة به يحكم ومعيارا دقيقا كل الدقة إليه يحتكم...،علمنة النصّ خصي له وتشويه لخلقته وتبشيع لصورته وتقبيح لبهائه، وتدمير لكيانه...،فمحاولة العلمنة زعم شكلاني جاء من أقصى بلاد الرّوس ولم يفض إلا إلى نقيض القصد>>(76).

يشكّل النصّ وفق هذا المنظور بنية- نسيج لغويّ منفتح على أكثر من عنصر وأكثر من مستوى وأكثر من سيّاق ،وفق شبكة من العلاقات المتداخلة التي تحدّد كيفية توليده وسيرورة إنتاجه ، ابتداء من مرحلة المخاض النصي كما يسميها مرتاض إلى مرحلة الاستواء كائنا أو حدثا لغويا متكاملا.

فإذا كانت كريستيفا أطلقت على المرحلة التي تسبق تكوين صورة النص النهائية إسم(النص المولّد) في مقابل (النص الظّاهر)،الذي يعني النصّ في هيأته النّهائية والتي يستقبلها القارئ/المتلقّي بوصفه بنية لغوية تامّة،فإنّ << مفهوم النصّ يسبق وجوده الحقيقي ،إذ يمتدّ إلى إجراءات تشكّله ، أو كما عبّر عنه ناقدنا بمعاناة الظّروف التي يخرج فيها النصّ الأدبي من العدم إلى الوجود >>(77)،بما يحقّق نصيتّه في صورتها النّاجزة النّهائية، فالنصّ ،يقول مرتاض :<<تحوّل من عدم إلى وجود،ومن

[76] عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، م س، ص 7 .

[77] عبد الملك مرتاض، نظرية، نص، أدب، ثلاث مفاهيم نقدية، بحث منشور ضمن كتاب (قراءة جديدة لتراثنا النقدي)، النادي الثقافي الأدبي، جدة، 1990، ط1، ص 269.

سكون إلى حركة، ومن اعتباطية إلى دلالة...،ومن مجرّد سمات لفظية إلى هيئة عمل أدبي متكامل ... إلى نصّ عظيم>>(78).

تتوزع عناصر تكوين النصّ–عند مرتاض–بين ما هو<< لغويّ داخليّ وغير لغويّ خارجيّ، ولكنّ تظلّ اللّغة بمستوياتها المختلفة أبرز تلك العناصر على الإطلاق ، بدء من ابسط وحداتها إلى أكثرها تعقيدا، فالمفردة...،هي التي تشكل قاعدة الجملة، من حيث هي نحويّة كانت أم ألسنيّة أم أدبيّة... ثمّ إنّ الجملة هي التي تمثل قاعدة النصّ الأدبي>>(9) ،والتي يتحقّق بها ويتشّكل بواسطتها،ذلك أنّ حقيقة كلّ نصّ هو نظامه << ونظام كلّ كلام يكمن حتما في معرفة خصائص ألفاظه وجمله >>(8)، فاللّغة هي مادة هذا النصّ الأساسيّة ،وأنّ هذا<< النصّ إنّما هو ثمرة عطاء اللغة.. .،اللغة مجرّد ألفاظ طائرة لا تتّخذ دلالتها إلاّ فيه>>(8).

ورغم ارتباط مفهوم النصّ باللغة ارتباطا وثيقا،إلاّ أنّه من حيث الشّكل في نظر مرتاض ،لايتحدّد من خلال الكمّ أو الطول والقصر ،وحتى في علاقته باللّفظة المفردة والجملة،فلا ينبغي أن يحدّد مفهوم النصّ بمفهوم الجملة ،ولا بمفهوم الفقرة التي هي وحدة كبرى لمجموعة من الجمل << فقد يصادف أن تكون جملة واحدة من الكلام نصّا قائما بذاته مستقلاّ بنفسه،وذلك ممكن الحدوث في التّقاليد الأدبيّة كالأمثال الشعبية والألغاز والحكم السائرة،والأحاديث النبوية التي تجري مجرى الأحكام وهلمّ جرا >>

---

78 عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، م س، ص 4 .

9 عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، م س، ص 66 .

8 المرجع نفسه، ص 67 .

8 المرجع نفسه، ص 5 .

(82).ولتأكيد التّكامل بين الشكل والمضمون في تحقيق مفهوم النصّ ،يقول مرتاض:<< وربّما روعي في قراءته الشّمولية ،فإذا لا هو شكل ولا هو مضمون،ولكنّه نسيج سحريّ متكامل التّركيب، محبوك النّسيج...،وربّما أمكننا المنطلق ممّا يطلق عليه الشّكل نحو المضمون،أو ممّا يطلق عليه المضمون نحو الشّكل. .،في اندماج وانسجام وفي ذوبان واتساق>> (83).

وخلافا لمقاربات النّظرة ال بنيوية الصّورية للنصّ والتي نادت بموت المؤلف وعزل النصّ عن مبدعه ومحيطه وسياقه وظروف إنتاجه ،واعتبار النصّ بنية مغلقة على نفسها ومكتفية بذاتها، يؤكّد مرتاض*على أهميّة العوامل الخارجيّة في تعريف النصّ وتكوينه وتحقيق كينونته خصوصا في علاقته بمبدعه الأوّل (الناص) ،دون إغفاله لدور القارئ في هذا الإطار،مايعطي للنصّ بهذا المفهوم بعدا آخر في رحاب التلقي.

---

[82] عبد الملك مرتاض، في نظرية النقد الأدبي، المجاهد، ع 1424، ص 57 .

[83] عبد الملك مرتاض، نظرية النصّ الأدبي، م س، ص 9 .

*رغم أن ناقدنا كان في بداية مساره النقدي مولعا بالبنوية ، ومتأثرا بنزعاتها النقدية والمنهجية، بحيث جربها في قراءة نصوص أدبية عربية وكان إذ ذاك ميالا إلى تناولها بمنظار يركز فيه على الداخل،على حساب الخارج كما كتب في بعض كتبه مثل (النص الأدبي ، من أين وإلى أين ، ص 42) فيما يتناول علاقة النص بالمبدع إذ يقول [...ألم يأن أن يعتقد كل من يعنيه أمر الأدب بالمفهوم المعاصر أن النص الأدبي ذو وجود شرعي مستقل عن مؤلفه إلى حد بعيد ، على الرغم من أنه ينتمي إليه ؛ فالنص الأدبي بالقياس إلى مبدعه يشبه النطفة التي تقذف في الرحم فينشأ عنها وجود بيولوجي ، ولكن الوليد على شرعيته البيولوجية والوراثية لا يحمل بالضرورة كل خصائص أبيه النفسية والجسدية والفكرية ، إنه يستقل بشخصيته عن الأب ، مهما حاول الأب أن ينشئه على بعض ما يحب ، ويشق في الغالب لنفسه طريقا خاصا ، ....إن النص الأدبي عالم ضخم ، متشعب ومتشابك و معقد ورسالة مبدعة تنتهي لدى الفراغ من تدبيجه ، فهو لا يرافقه إلا في لحظة المخاض ، أو لحظة الصفر كما يطلق عليها رولان بارت ، ثم لا ذاك من هذا أو لا هذا من ذاك) (نفسه ، ص 42) . ثم نراه يجنح إلى مناهج نقدية أكثر حداثة ، فيميل بها عن النظرة الضيقة لمفهوم النص ويلح إلحاحا إلى عدم كفاية العوامل الداخلية لوحدها ، بل ويعطي أهمية خاصة لخارجيات النصوص وبالخصوص للمؤلف ، والسياق والتناص... .

إنّ للنصّ الأدبي–كما يقول مرتاض–<<حتما أب ينجله ووالد يلده ،هو كاتبه ومدبجه، ولا يجوز أن يكون النصّ الأدبي دعيّا بل يجب أن يكون ابنا شرعيّا>> (84)، لينسف بذلك مقولة موت المؤلف نسفا، تماما كما ينسف بعض المقولات البنيوية بعزل النصّ عن سياقاته المختلفة وظروف إنتاجه <<لأنّ النصّ ليس مجرّد تفاحة لذيذة يلتهمها بشره ، ثم لا تكاد تفكّر في الشّجرة التي أثمرتها ،النصّ هو النّاص حالا فيه، جاثما عليه كالقدر >>(85)،يترك بصمته فيه ويخلدها حقيقة أو إمكانا،ظهورا أو إضمارا، وكما لا نتصوّر تفاحة من نخلة، لأنّها لا تكشف ب صرماتها وخواصها، فكذلك النصّ، << مرآة مخلّدة لصورة الحياة بكل أبعادها وأعماقها>>(86)،ما يعطي لهذه السياقات أثرا في إنتاج النصّ وتكوينه في علاقة متداخلة ومتكاملة، << ولا نستطيع أن نفكّر لحظة القراءة بأنّنا نقرأ النصّ فقط، ولا أنّنا نقرأ الناص فقط>> (87) ،بل يتجاوز ذلك كله إلى اعتباره << كجهاز معرفي شديد التعقيد، عميق الدلالة ، بعيد المرامي متعدد المعاني ، ممّا يفضي بالضرورة إلى تعدد القراءات>> (88) .

يشير مرتاض إ لى قضية أخرى لها علاقة وثيقة بموضوع النصّ، باعتبارها قضية نقدية مهمّة وخطيرة،وهي قضية رفض انتماء النصّ إلى مؤلّفه التي جاء بها بعض رواد النّقد الجديد،الذين يدينون في ذلك إجمالا لجهود الشّكلانية الرّوسية << التي شاءت أن تحلّل الإبداع الأدبي في نفسه، في بناه الخالصة وليس بمرجعيته(En la

[84] عبد الملك مرتاض، مدخل إلى قراءة البنوية، علامات في النقد، جدة ،ج 29، مجلد 8،سبتمبر 1998، ص 29.
[85] عبد الملك مرتاض، القراءة بين القيود النظرية وحرية التلقي،مجلة تجليات الحداثة الجزائر، ع 4، 1996، ص 40.
[86] عبد الملك مرتاض، مدخل الى قراءة البنوية، م س، ص32 .
[87] عبد الملك مرتاض، القراءة بين القيود النظرية وحرية التلقي، م س، ص 39
[88] عبد الملك مرتاض، في نظرية النقد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط 1، 2006، ص 92.

referant) على شأن سيكولوجي أو سير –ذاتي أو اجتماعي أو سوى ذلك >>(89)،كما يقول في السيّاق نفسه<<:وواضح أنّ وراء الكفران بالمؤلّف بإنكار نصّه إليه من أسباب أنّ النّقد الجديد ، يرى في النصّ مجرّد شئ لا صلة له بسواه،فهو لعب اللّغة،على حدّ تعبير رولان بارط الذي كثيرا ما كان يحلو له ترداد هذا الحرف>>(90).

يوجّه مرتاض نقدا لاذعا لهذا المفهوم باعتبار النصّ تماهيا مع (لا شئ) في نوع من اللّعب ، موجها سهام نقده إلى مصدر كثير من هذه الأفكار الرافضة لانتمائية العمل الأدبي إلى كاتبه، ونقصد بذلك الناقد الفرنسي بول فاليري <<متأثّرا ببعض أفكار مالارمي، الذي يصرّ إصرارا شديدا على أنّ العمل الأدبي يمكن أن يعزي لأي ش يئ، إلاّ أن يعزى لصاحبه...،وهذه الغاية من التّطرف والعبثية أصلا>>(91) ،يقول مرتاض: <<فلا عقل يقبلها ولا منطق يبرّرها،بل على المرء أن ينسلخ من كلّ عقله ومنطقه وتفكيره لكي يجرأ على الاعتقاد بما جاء به بعض المنظرين الغربيين عن عدم إنتماء النصّ إلى صاحبه الذي نصّه>>(92) .

فالنصّ الأدبيّ ليس مجموعة عناصر لغويّة داخليّة لوحدها ،ولا عناصر خارج نصيّة لوحدها، بل <<لا يتحقّق النصّ واقعيّا إلاّ بترابطها معا ،ضمن وحدة متناسقة تمارس وجودها الفعليّ من خلال حضورها الدّاخلي في عناصر البنية اللغوية المنظّمةّ وحضورها الخارجيّ فيما تحيل عليه،بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من مرجعيّات وزيبة

[89] عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، م س، ص 118.
[90] المرجع نفسه، ص 118 .
[91] المرجع نفسه، ص 120.
[92] المرجع نفسه، ص 121 .

أو بعيدة>>(93)،مايجعل النصّ–بهذا المفهوم–بنية دلالية يتشابك فيها اللّغوي واللّساني والإيديولوجيّ والبنيويّ لإخراج النصّ إلى كينونته النّصيّة .

كما يعطي مرتاض لمفهوم النصّ من جهة أخرى ،بعدا تداوليا حينما يربطه بالسّياق الذي أنتج فيه اجتماعيا وثقافيّا ،وهي العناصر الدّاخلة في تشكيله وتكوين مرجعيّته، وقد تبرز هذه الخلفيّة أحيانا على سطح النصّ ،وقد تغور أحيانا في عمقه، <<ولكن النصّ حتما،لا يكون بلا مرجعية،وستكون مهمّة القراءة من حيث كونها تأويلا هي بالضّبط إنجاز هذه المرجعية>>(94) .

وبناء عليه، لا يتحقّق مفهوم النصّ من حيث الدّلالة إلاّ في رحاب عملية القراءة والتّأويل، باعتباره شبكة من العلاقات الدّاخلية والخارجية بأبعادها المختلفة،فيتحوّل من الكمون إلى التحقّق والفعل، ومن الظّهور إلى التّوالد أو التّوالدية،ذلك أنّ<< النصّ قائم على التّجدّدية بحكم مقروئيته ،وقائم على التعدّدية بحكم خصوصيّة عطائيّته ،تبعا لكلّ حالة يتعرّض لها في مجهر القراءة.

النصّ من حيث هذا ذو قابلية للعطاء المتجدّد بتعدّد تعرّضه للقراءة، ولعلّ هذا ما تطلق عليه جوليا كريستيفا (إنتاجية النصّ) ،حيث أنّه يتّخذ من اللّغة مجالا للنّشاط >>(95)،ما يجعل النصّ << بنية عميقة تنصرف إلى السّطح وإلى العمق على مدى فضاء النصّ وامتداده في الطول والعرض>>(96).

---

[93] مصطفى سلومي، عتبات النص، المفهوم والموقعية والوظائف، منشورات كلية الآداب وجدة، المغرب، سلسلة (بحوث وندوات)، رقم 22، ط 1، 2003، ص 15

[94] بول ريكور، النصّ والتأويل، ترجمة عبد الحي أرزقان، علامات، مكناس، ع 11، 1998، ص 33 .

[95] عبد الملك مرتاض، دراسة تفكيكية سيميائية لقصيدة إين ليلاي لمحمد العيد آل خليفة، م س، ص57 .

[96] عبد الملك مرتاض، مدخل في قراءة البنوية، علامات في النقد، جدة،ج 29، مجلد 8، 1998، ص 28.

إن الحديث عن إنتاجية النّصوص يقودنا حتما للحديث عن التّناص وتداخل النّصوص،وأهميّة ذلك في تحديد مفهوم النصّ . فللنصّ حسب مرتاض <<حواريّة النّصوص،وحوارية النّصوص ليست إلاّ تناصّ النّصوص ،وذلك أمران لا مناصّ منه ، في تكوين النصّ وكينونته معا>>(97) .

إنّ الكلام عن التّناص يقوّض إلى حد ما قضيّة الإبداع الأدبي أو اللّساني الخالص، في الكتابة الأدبية برمتّها،<< فإذا كان المبدع ،إذ هو أيضا يبدع في عمله، لأّنه يستطيع أن ينشئ نصّا جديدا من حول نصّ سابق، وإذا كان المبدع يبدو وكأنّه ينشئ نصّا لم يسبق إليه وأنه قائم على العدم المحض،أي على الخيال الخالص،فإن ذلك مجرّد توهّم باطل ، أرأيت أن المبدع نفسه لا يستطيع، في حقيقة الأمر، أبدا، أن ينشئ نصّا إلاّ على أنقاض نصوص أخرى>>(98) .

وليس معنى هذا التسليم المطلق بأسطورة الاستبدال التي تزعم فيها كريستيفا <<أنّ النصّ المكتوب ليس إلا إجترارا لنصوص أخر غير معروفة أو نصوص مجهولة كما يعبر بارط ، لأنّ هذا المذهب يجعل الكاتب عبدا لنصوص لا يعرفها... ،وكأنّه معتوه لا قريحة له على الإطلاق>>(99)،بل إنّ القضيّة برمّتها قضيّة نسبيّة لا اختلاف فيها ولا في نسبيتها، سواء تعلّق الأمر بالتّناص أو بحواريّة النّصوص،أو تعلّق الأمر بالكتابة الإبداعية في نظام التّوالد النّصيّ والإنتاجيّة .

بيد أنّ مرتاض يفرد مفهوما للنصّ بناء على ما سبقّ يلخص فيه أهمّ خصائصه ومعايير نصيّته حينما يقول: <<وليس النصّ أن يكون بالضرورة كلّ القصيدة أو كلّ

---

[97] عبد الملك مرتاض، نظرية النصّ الأدبي، م س، ص 4.

[98] عبد الملك مرتاض، نظرية النصّ الأدبي، م س، ص55 .

[99] المرجع نفسه، ص 265 .

القصّة أو كلّ الرواية، بل يمكن أن يكون مجرّد مثل شعبيّ نصّا،وعبارة مبتذلة جارية مكتوبة في مكان ما من إدارة أو طائرة أو حافلة نصّا،كعبارة (ممنوع التّدخين) ، تتوافر فيها كلّ مواصفات النصّ: 1/أنّها رسالة. 2/أنّها بثّت لأنّها موجّهة إلى مستقبلين . 3/ أنّها بثّت بقصد أن يتلقّاها الزّبائن أو المسافرون أوالزوّار .4/ وبقراءتهم أيّاها، (ونفترض أن تكون هذه الرسالة،هذا النصّ، كتبت في مجتمع متعلّم، وإلاّ لما كانت كتبت)،فقد استقبلوها.5/أنّها أدّت غايتها التّبليغية كأيّ نصّ طويل النفس ضخم الحجم، فيما عدا خلوّها من الأدبيّة **(100)**،فهذه الخصائص العامّة تنطبق على أيّ نصّ،فإذا أنضاف إليها صفة الأدبيّة استقامت على النصّ الأدبي،فحدّدت مفهومه وشكّلت هويته وماهيته على السّواء.

[100] عبد الملك مرتاض، نظرية النصّ الأدبي، م س، ص 56.

الفصــل الثّالث:

من مفهوم النصّ إلى معايير النصية.

تمهيد: 62
المبحث الأوّل: الاتساق أو السبك 64
المبحث الثّاني: الانسجام أو الحبك. 69
المبحث الثّالث: القصدية 74
المبحث الرّابع: المقبولية. 78
المبحث الخامس : الإعلامية. 80
المبحث السّادس : الموقفية. 82
المبحث السّابع : التّناص: 86

الفصل الثّالث: من مفهوم النصّ إلى معايير النّصية.

تمهيد :

وبالتّالي،فإنّ اختلافا شديدا شهده مفهوم النصّ وتحديد عوامل تعريفه ومعايير هويّته؛ فقد أفرزت الاتّجاهات اللّسانيّة الحديثة كماً هائلاً من التعريفات- عرضنا لبعض منها- وفق معايير مختلفة؛منها ما كان متعلّقا بالاتّجاهات النّقدية التي أفرزتها، ومنها ما كان متّصلا بالبنى أو السّياقات النَّصيَّة ،ومنها ما له علاقة بالجملة ،ومنها ما له علاقة بالنّظرية الوظيفيّة وغيرها .

يبقى تحديد تعريفٍ صارم ودقيق وجامعٍ مانعٍ للنَّصِّ مسألة غير منطقيَّة من جهة التَّصور اللّغوي ،ومع هذا تظلّ محاولة الوصول إلى تعريف يضمّ أكبر عدد من الملامح الفارقة للنَّصِّ محاولةً طموحةً.

تعود صعوبة تحديد مفهوم النَّصِّ كما يرى من ذر عياشي <<أنّ النصّ دائمُ الإنتاج لأنَّه مستحدثٌ ،ودائم التخلّق لأنَّه دائماً في شأن ، ظهوراً وبياناً؛ ويستمر في الصَّيرورة لأنَّه متحركٌ ،وقابلٌ لكلِّ زمان ومكان ،لأنَّ فاعليّته متولّدة من ذاتيته النَّصيَّة>>(1)، فهل من الممكن الوصول إلى تعريف تامّ للنص؟ وما حدود ذلك؟ يقول منذر عياشي:<< إنّ وضع تعريف للنصّ يعتبر تحديداً يلغي الصيرورة فيه،ويثبّت إنتاجيّته على هيئة نمطية ...،ويلغي قابليته التّوليدية زماناً ومكاناً>>(2).

---

[1] منذر عياشي، النصّ ممارساته وتجلياته، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع 97/96، 1992، ص55 .

[2] منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004، ص 207 .

ذكر دي بوجراند في بداية تأريخه لعلم النصّ رأياً لـ(فان دايك) يقول فيه:<< لا يخضع علم النصّ لنظرية محدّدة أو طريقة مميّزة ، وإنّما يخضع لسائر الأعمال في مجال اللّغة التي تتّخذ من النصّ مجالاً لبحثها واستقصائها،ويعني ذلك ألاّ نتوقّع في دراستنا لتاريخ علم النصّ أن تبرز نظريّة واحدة أو اتجاها محدّداً ،وإنّما يجب أن نتّجه نحو سائر الأعمال التي أسهمت في إبراز هذا المجال الحيويّ في دراسة اللّغة>>(3).

لقد شغل تحديد مفهوم النَّصِّ وماهيته إذن مساحةً واسعةً من عناية اللّسانيين والنّقاد،وعلى الرّغم من التّباين في مذاهبهم الفكريَّة التي ينطلقون منها.

يوجد قاسماً مُشتركاً بين كُلِّ هذه التّعريفات،وهو التّأكيد على خاصيَّة ترابط النَّصِّ وضرورة النَّظر إليه على أنَّهُ وحدةٌ لغويَّةٌ مترابطةُ الأجزاء – شكلاً ومضموناً– وليس سلسلةً من الجمل المتوالية كيفما اتفق ،<< وقد استنبط دي بوجراند سبعة معايير يجب توفّرها في كل نصّ ليحقّق نصيّته وهويّته كاملة>>(4)، وهذه المعايير هي: التّماسك أو السّبك، الاتساق أو الحبك، القصديّة، الموقفيّة ،الإعلاميّة،المقبوليّة، والتناص.

لقد تمّ تصنيف هذه المعايير إلى مستويات مختلفة: منها ما يتّصل بالنصّ في حدّ ذاته و هما معياران: السّبك والحبك ،ومنها ما يتّصل بمستعملي النصّ ، سواء كان المستعمل منتجا أم متلقيّا، و هما معياران: القصد والمقبوليّة، و منها ما يتّصل بالسياق المادّي والثّقافي المحيط بالنصّ، ونعني به معايير: الإعلام والموقف والتّناص .إنّ إعمال تلك المعايير النّصيّة في تحديد مفهوم النصّ وهويّته ، إنّما هو في حقيقة الأمر

[3] يوسف نور عوض، نظرية النقد الأدبي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1997، ص67.
[4] روبرت دي بوجراند:النص والخطاب والإجراء، ترجمة د. تمام حسان عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998، ص24 .

نوع من التقابل بين مفهومي الجملة والنصّ وهويّتهما، إذ لم يعد التّمييز بينهما منحصرا في الكمّ أو البنية النّحوية، بقدرما اصبح منحصرا في توافر هذه المعايير و نسبيتها.

لقد اهتمّ الدّارسون في لسانيّات النصّ– كإتّجاه لسانيّ جديد – بالنصّ و بمعايير النّصيّة التي تمثّل الشّروط الضّرورية لتحقيق كينونة النصّ وهويته ، وتحقّق بالتالي عملية التّواصل والاتّصال، مع أنّ قضية النّصيّة ومعاييرها، قد << شكّلت– وإلى أبعد الحدود–وجها من أوجه التّقاطع بين الدّرس البلاغيّ العربيّ القديم وعلم النصّ الحديث، الذي يعتبر دي بوجراند أحد أعلامه السبّاقين في تحديد معايير هذه النّصيّة مجتمعة، بحيث جاءت شاملة لكلّ تعاريف النصّ على اختلافها >> (5) من جهة،كما شكّلت من جهة أخرى << أساسا مشروعا لإيجاد النّصوص و استعمالها>>(6) .

المبحث الأوّل: الاتّساق أو السّبك أو التّماسك:

يحتل تماسك النصّ موقعا مركزيّا في الأبحاث والدّراسات التي تندرج ضمن مجالات تحليل الخطاب ولسانيات النصّ.

يتعلّق مفهوم الأتّساق <<بترابط الجمل فيما بينها في النصّ الواحد ، ويهتمّ بالوسائل التي تتحقّق بها خاصيّة الاستمراريّة–تركيبا ودلالة–في ظاهر النصّ ،أي الرّوابط التي تجري في سطح النصّ أكثر من اهتمامه بالشّكل الدّلالي أو المعنوي للنصّ>>(7) ،وما يترتّب على ذلك من إجراءات على صورة وقائع يؤدّي السّابق منها اللاّحق، وينتظم بعضها مع بعض تبعا للمباني النّحوية ،بما يجعل النصّ محتفظا

[5] محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008، ص80.

[6] روبرت دي بوجراند، النصّ والخطاب والإجراء، م س، ص80 .

[7] جمعان عبد الكريم، مفهوم التماسك وأهميته في الدراسات النصية، مجلة علامات، ج61، مجلد 16، ص210.

بكينونته واستمراريته ،ومن بين هذه الوسائل:التّكرار ،أدوات الرّبط،الإحالة والحذف ...،وغيرها ..

يعرّف الاتساق بكونه<<مجموع الامكانيات المتاحة في اللّغة لجعل أجزاء النصّ متماسكة بعضها ببعض >>(8)،بما يحيل بطريقة أو أخرى إلى<<الوسائل اللّغوية الشّكلية التي تصل بين العناصر المكوّنة للنصّ >>(9)،أو الوسائل التي تتحقّق بها خاصيّة الاستمرارية في ظاهر النصّ ،ونعني بظاهر النصّ <<الأحداث اللّغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمنيّ...وه ذه الأحداث لا تشّكل نصّا إلاّ إذا تحقّق لها من وسائل السّبك ما يجعل النصّ محتفظا بكينونته واستمراريّته ،ويجمع هذه الوسائل مصطلح عام هو الإعتماد النّحوي>>(10) كما يرى مصلوح .

يتحقّق الاعتماد النّحوي عند دي بوجراد– ما ينقل مصلوح– <<يتحقّق في مستويات صوتيّة وصرفيّة وتركيبيّة ومعجميّة ودلاليّة ،كما يتّخد أشكالا من التّكرار الخالص والتّكرار الجزئي وشبه التّكرار ، وتوازي المباني ،وتوازي التّعبيرين والإسقاط والاستبدال وعلاقات الزمن و أدوات الرّبط بأنواعها المختلفة>>(11) ،وبالتالي،فهو يعنى بالعلاقات النّحوية والمعجمية والصوتية بين العناصر المختلفة في النصّ ،كما يشكّل المعنى العام للاتساق حسب هاليداي ورقية حسن مثلا ، الجزء المهمّ في مفهوم النصّ،

[8] محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1، 2006، ص 124 .

[9] محمد خطابي، لسانيات النصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991، ص5.

[10] سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري، م س، ص 155.

[11] المرجع نفسه، ص157.

لدوره الخطير في نشأ ته بتوفير عناصر الالتحام وتحقيق التّرابط بين بداية النصّ ونهايته، وبين مستوياته اللّغوية المختلفة نحويّا وصرفيّا وصوتيّا.

فالتّرابط النصّي إذن، هو الذي يخلق بنية النصّ،مع أنّ بنية النصّ هذه،لا يمكن أن تكون مجرّد تواليات علاماتية بقدر ماهي تنظيم خاصّ ينبني من داخل النصّ ، ورؤية دلالية مستقلّة تتشكّل من ذاته أو من ذاتيّته ، كما يعتبر الاتساق مظهرا لدراسة النّسيج النصّي ، ذلك بأنّه<< مفهوم دلاليّ يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النصّ، وهي عناصر تحدّده و تمنحه صفة النصّانية ،ويشمل مفهوم الإتّساق هذا،عددا من المنسّقات،كالإحالات إلى الضّمائر والإشارة والحذف والاستبدال والوصل والإتّساق المعجميّ>>(12)،في نوع من العلاقة الجدليّة بينهما ،لأنّ اتّساق الدّلالة من اتّساق النصّ،وإذا غاب الاتساق النصّي،غابت تبعا له الدّلالة واضطربت.

يحفظ الاتساق النصّي نصيّة النصّ ،وبالتّالي دلالته ومعناه ، الذي يمثّل في أصله تصوّر للعلاقات النّحوية بناء ودلالة ، لأنّ<<حسن التّأليف– كما يقول أبو هلال العسكري– يزيد المعنى وضوحا وشرحا... ،وحسن الرّصف أن توضع الألفاظ في مواضعها، وتمكن في أماكنها، ولا يستعمل فيها التّقديم والتّأخير والحذف والزّيادة ،إلاّ حذفا لا يفسد الكلام ولا يعمي المعنى>>(13) .

ومن أجل تحقيق هذا التّرابط النصيّ أو التّماسك في مستوى النصّ ،لابدّ من توفير مجموعة من الوسائل،منها:الإحالة والاستبدال والحذف والوصل والفصل وحروف العطف،...وغيرها(التّماسك النّحوي) ، والتكرار والتضام أو المصاحبة المعجمية

[12] محمد خطابي، لسانيات النصّ، م س، ص17.

[13] أبو هلال العسكري، الصناعتين:الكتابة والشعر، صيدا،1986 ، ص161.

(التماسك المعجمي)، والتّنغيم والإيقاع والقافية والوزن، بالإضافة إلى البديع من سجع وجناس...، وغيرهما (التماسك الصوتي).*

* فلمّا التماسك النحوي فإنما يتحقّق عن طريق: الإحالة(Référence) : فإذا كان التماسك النحوي أول مظاهر السبك في النصّ، فإن الإحالة هي أولى أدوات السبك النحوي باعتبارها علاقة دلالية تتجاوز حدود القيود النحوية إلى الخصائص الدلالية المتشكلة بين العناصر المحيلة في النص والعناصر المحال إليها فيه، أو هي العملية التي بمقتضاها تحيل اللفظة المستعملة على لفظة متقدّمة عليها أو لاحقة بها ، مع أن العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، لأنها (لا تملك دلالة مستقلة بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مصوّرة في أجزاء أخرى من الخطاب) (محمد خطابي، لسانيات النصّ، م س، ص116)، وهي نوعان: الإحالة النصية التي (تتم بواسطة الضمائر وأسماء الإشارة والاسم الموصول، (وهي نوعان): إحالة قبلية وفيها يشير العنصر المحيل إلى عنصر آخر متقدم عليه وهي الأكثر شيوعا ، وإحالة بعدية وفيها يشير العنصر المحيل إلى عنصر آخر يلحقه)(محمد خطابي ، لسانيات النصّ، م س، ص18)، وإحالة مقامية تتصل (بالإحالة إلى السياق الخارجي) . ابراهيم خليل، في نظرية الأدب وعلم النص ، منشورات الاختلاف ، الجزائر، ط1، 2010، ص 300.) وإن كان هذا النوع من الإحالة أقرب إلى سياق الموقف الخاص بالنص منه إلى السبك لأنها (تسهم في خلق النص لكونها تربط اللغة بسياق المقام). محمد خطابي، لسانيات النصّ، م س، ص 20).

ومن أدوات الإحالة في النص نجد الضمائر التي تتعدى أهميتها تعويض الأسماء والعبارات والجمل المتتالية، إلى كونها تربط بين أجزاء النص المختلفة شكلا و دلالة: أي بما يحقق التماسك الشكلي والدلالي، لأن تشكيل المعنى وتحققه إنما يعتمد على وجودها / وضعها داخل النص. وتتجلى أهمية الضمائر في دلك في كونها تحيل إلى عناصر أخرى في النص وتنوب عنها وهي في مجموعها تتميز بميزتين : الأولى: الغياب عن الدائرة الخطابية، والثانية: القدرة على إسناد أشياء معينة، و تجعل هاتان الميزتان من هذا الضمير موضوعا على قدر كبير من الأهمية في دراسة تماسك النصوص) . د. صبحي إبراهيم الفقي ،علم اللغة النصي، بين النظرية و التطبيق، ج1، ص 161).

وإذا كان المثال المشهور الذي جاءت به هاليداي في الإحالة هو (اغسل و انتزع نوى ست تفاحات وضعها في طبق مقاوم للنار)... بحيث (أن الضمير في ضعها هو الرابط الذي يربط الجملة الثانية إلى الأولى في وحدة تفيد العلم بطلب معين) ... يشبه الى حد بعيد مثال الجرجاني ال ذي أورده في القضية نفسها وهو (جاءني زيد و هو مسرع " الدي يعد نظيرا لقولهم" جاءني زيد و زيد مسرع " من حيث الدلالة ، فالضمير أغنى عن تكرير" زيد " (ذلك أنك إذا أعدت ذكر زيد فجئت بضميره المنفصل المرفوع كان بمنزلة ان تعيد اسمه صريحا)،(الجرجاني ، دلائل الاعجاز، م س، ص 215).

أما الاستبدال فيشكل صورة من صور التماسك النصي على المستوى النحوي المعجمي بين كلمات النص أو عباراته ،باعتباره ملية تتم داخل النص .إنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر) (محمد خطابي ، لسانيات النص، ص 19). ويحتل الحذف مكانة هامة في الدراسات و البحوث النحوية والبلاغية قديما وحديثا باعتباره من وسائل التماسك النحوي و بوصفه (انحرافا عن المستوى التعبيري الاعتيادي، و و يستمد الح ذف أهميته من حيث انه لا =

= يورد المنتظر من الألفاظ، ومن ثم يفجّر في ذهن المتلقي شحنة توقظ ذهنه و يجعله يفكر فيما هو مقصو د) (د. = نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب ، عالم الكتب الحديث، 2009 ، الأردن، ط1. ص 105). وإذا كان الاستبدال يعني تعويض عنصر لغوي بعنصر لغوي آخر في نوع من الإحلال ..فإن الحذف يختلف عن دلك لسبب بسيط هو انه يتحقق بدون إحلال ، بحيث (نجد في الجملة التي يقع فيها فراغا بنيويا – أو هكذا يبدو – يهتدي المتلقي إلى ملئه اعتمادا على ما يرى في النص أو في الخطاب . ولذلك وصف الحذف بأنه استبدال صفري)(محمد خطابي، لسانيات النص، م س، ص22).

وإذا كان الحذف صورة من صور الإيجاز و الاختصار– كما في العربية مثلا – (لعلم المخاطب بالمعنى)(د. بوجمعة جمعي ، ظاهرة الحذف في شعر البحتري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1، 2003، ص 26)، فإن دلالته أبلغ وأقوى – على شاكلة الغياب الباني – لان الحذف كما يقول الجرجاني (شبيه بالسحر. فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر . والصمتعن الإفادة أزيد= =للإفادة وتجدك انطق ما تكون إذا لم تنطق . وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن)(الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص145)، وهذا ما يؤكد أهميته في تحقيق السبك و حسن البناء (لأنه يقع في سطح النصّ ، ولكنه يعامل معاملة الم ذكور من حيث المعنى)، (عزة شبل محمّد ، علم لغة النص : النظرية و التطبيق ، مطبعة الآداب ، القاهرة ، ط 1 ،2004 ، ص170.) وغيرها من الأدوات و الوسائل كالتقديم و الت أخير والفصل والوصل وغيرها .

والسّبك المعجمي كالسبك النحوي هو مظهر من مظاهر السبك النصي العام و من اشهر أدواته التكرار و التضام .. لقد جعلت هاليداي التكرار أربع درجات/إعادة العنصر المعجمي (التكرار التام) أي تكرار الكلمة . وتكرار المعنى واللفظ مختلف (الترادف و شبه الترادف) / تكرار الاسم الشامل وهو اسم يحمل معنى مشتركا بين عدة أسماء و تكرار الكلمات العامة .(محمد خطابي ، لسانيات النص ، م س ، ص25) . أما التضام فيقصد به (توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة... نظرا لارتباطهما بحكم هده العلاقة أو تلك... ويسميه محمد خطابي (بالمصاحبة المعجمية ")(محمد خطابي، لسانيات النصّ، م س ، ص25) التي تعني استعمال كلمتين أو وحدتين معجميتين عادة ما يكونا مرتبطتين تألفا أو اختلافا كالليل/ النهار مثلا . و هذه المصاحبة المعجمية كما ترى هاليداي (وسيلة من وسائل السبك حين تظهر في جمل متجاورة)(د. جمال عبد المجيد ، البديع و البلاغة العربية واللسانيات النصية ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، ط1، القاهرة ، 2003، ص109) أي لضرورة المعنى و تقريره. والتكرار– بشروطه – في النص ليس عيبا أسلوبيا أو ضعفا فنيا (لأنه يخلق أساسا مشتركا بين الجمل مما يسهم في وحدة النص و تماسكه.)(د.عزة الشبل محمد ، علم لغة النص ،النظرية والتطبيق ، ط1 ، 2004 ، ص106)، يقول الجاحظ : (إن ترداد الألفاظ ليس بعي ما لم يجاوز مقدار الحاجة) (الجاحظ ،البيان والتبيين ،ج1، ص105). أما فيما يخص السبك الصوتي فقد أشار دي بوجراد إلى مصطلح التنغيم كوسيلة من الوسائل الصوتية التي تساهم في تحقيق السبك النصي فقد حفل الدرس النقدي العربي قديما وحديثا حيث أفردت الدراسات النقدية حيزا مهما لموضوع البديع والسجع و الجناس و الوزن و القافية (ولا يخفى علينا ما يتوفر في عناصر البديع من بعد موسيقي و صوتي يسهم في عملية بناء النص)(د. حسام احمد فرج ، نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري ، مكتبة الآداب ، القاهرة ط1، 2007، ص 118)، وبهذا تبرز أهمية الدلالة الصوتية وقيمتها الوظيفية في البناء النصي و تماسكه. لقد اهتم النقاد العرب القدامى بالبنية الصوتية في النص وأكدوا أهميتها في بنائه و تماسكه حتى جعلوا التوافق الصوتي معيارا من معايير= =

المبحث الثاني:الانسجام أو الحبك:

ويقصد به<<الإجراءات التي تحقّق في النصّ عناصر التّرابط المفهومي واسترجاعه، وتشمل خصوصا : العناصر المنطقيّة كالسّببيّة والعموم والخصوص ،أي عناصر التّرابط الدّلالي ، الذي تحقّقه البنية العميقة للنصّ ، ما يجعل من الإنسجام خاصيّة سيمانطيقية قائمة على ت أويل كل جملة مفردة بت أويل الجملة التي قبلها وبعدها>>(14)، مع أنّ تحليل الانسجام– كما يرى فان ديك– << يحتاج إلى تحديد نوع الدّلالة التي ستمكّننا من ذلك، وهي دلالة نسبيّة...، فالعلاقة بين الجمل محدّدة باعتبار التّأويلات النسبية>> (15) .

ففي مقابل الاتساق أو التّماسك، يبدو الانسجام أو الحبك أكثر انفتاحا على عوالم السّياق والمقام، اللّذين يساهمان في عملية الإنتاج ، فمصطلح الانسجام يتضمّن حكما عن طريق الحدس والبديهة،وعلى درجة من المزاجية حول الكيفية التي يشتغل بها النصّ. فإذا حكم قارئ على نصّ ما بأنّه منسجم، فلأنّه عثر على تأويل يتقارب مع نظرته للعالم،لأنّ الانسجام غير موجود في النصّ فقط، ولكنّه نتيجة ذلك التفاعل مع

= جودة لنص الشعري و أساسا من أسس الحكم عليه. (فـأجود الشعر – يقول الجاحظ – ما ر أيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج فتعلم بـذلك أنّه افرغ إفراغا واحدا وسبك سبكا .. فهو يجري على اللسان كما يجري على الدهان ... حتى أن البيت بـأسره كلمة واحدة وحتى ان الكلمة ب أسرها حرف واحد)(الجاحظ ، البيان والتبيين ،ج1، ص 66). وعلى دربه – في هـذا الموضوع – ذهب الامدي حينما(اعتمد الوزن و القافية أساسا للموازنة بين أشعار أبي تمام والبحتري)، (أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي(ت 421 هجري) شرح ديوان الحماسة لابي تمام ، تحقيق غريد الشيخ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2003، ج1، ص12) . وتعتبر الدلالة الصوتية في البناء النصي عقبة كؤود في طريق الترجمة الأدبية وخصوصا في النص الشعري (لأن عنصري الوزن والقافية يميزان ماهية الشعر.. ويقاربان بين كلمات النص على أساس مبدأ الوحدة الإيقاعية المنتظمة)(د. حسام أحمد فرج ، نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري ، مكتبة الآداب ، القاهرة ط1، 2007، ص122.).

[14] نوال لخلف، الانسجام في القران الكريم، م س، ص211 .

[15] محمد خطابي، لسانيات النصّ، م س، ص34 .

مستقبل محتمل ،ليصبح الانسجام به ذا الشكل أعمّ من الاتساق وأعمق منه <<لأنّه يصرف الاهتمام إلى جهة العلاقات الخفيّة التي تنظّم النصّ وتولّده>> (16).

لقد كان لنقّادنا القدامى إسهامات مهمّة في موضوع الحبك ، تدلّ على وعيهم المبكّر بخطورة الانسجام وأهميّته في النصّ–شعرا أو نثرا– ،فقد ربطوا بين الانسجام والدّلالة من ناحية، وبين الانسجام والجودة من ناحية أخرى.

ومن مظاهر ذلك قصة (البيت و أخيه) التي ذكرها الجاحظ وأ شرنا إليها سابقا، حيث كانت المؤاخاة بين أبيات الشعر مؤاخاة بين معانيهاوألفاظها ودلالاتها،لأنّ المؤاخاة بهذا المفهوم ليست سوى أن تذكر المعنى مع أخيه لا مع ا لأجنبي، ومثاله– كما يقول محمد العبد– <<أن تذكر وصفا من ا لأوصاف وتقرنه بما يقرب منه ويلتئم به، فإذا ذكرته مع ما يبعده منه ، كان ذلك قدحا في الصناعة >>(17)، في نوع من تجاوز دائرة الألفاظ المفردة أو معانيها المفردة كذلك، إلى ما بين تلك الألفاظ والمعاني من علاقات مجسّدة للنّشاط العقليّ ومصوّرة له ،<<وهي ليس إلاّ إمكانات النّحو واحتمالاته داخل دائرة الاهتمام بالتّركيب >>(18)،وهوما يتّصل بوظيفة اللّغة في الاستعمال،والتي لا تتحقّق بال لفّظ المفرد ولا بتواليها كيفما اتفق ،فليس الغرض بنظم الكلم–كما يقول الجرجاني– <<أن توالت ألفاظه في النّطق ،بل ان تناسقت دلالاتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل >>(19)،أي ضمن علم النحو و أحكامه

---

[16] محمد خطابي، لسانيات النصّ، م س، ص 7 .

[17] ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي، مصر، 1989، ج2، ص293.

[18] جميل عبد المجيد، بلاغة النصّ، مدخل نظري ودراسة تطبيقية، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999، ص20.

[19] الجرجاني، دلائل الإعجاز، م س، ص51.

ومعانيه،لأنّ هذا التّناسق الدّلالي،لا يتحقّق خارج إطار تلك العلاقات النّحوية بين تلك المعاني في النصّ،وهذا ما يؤكّد مدى إدراك القدماء لأهميّة الانسجام والتّرابط المعنويّ في النصّ، حتى جعلوه–كما أشرنا–<<معيارا لجودة الشّعر وأساسا للحكم به عليه،فقد كانوا يميّزون بين الأشعار تبعا لما فيها من ترابط معنوي>>(20) .

ومن ذلك أيضا،قول ابن طباطبا العلوي في عيار الشعر :<< وينبغي للشّاعر أن يتأمّل تأليف شعره وتنسيق أبياته، ويقف على حسن تجاورهما أو قبحه،فيلائم بينها لتنتظم له معانيها ويتصل كلامه فيها... ،وأحسن الشعر–حسبه دائما– ما ينتظم فيه القول انتظاما،يتّسق به أوله مع آخره...، حتىّ تخرج القصيدة كأنّها افرغت افراغا>> (21)، وفي ضرورة التّناسب بين أبيات القصيدة وتلاحمها بما يحقّق وحدة التركيب ووحدة الدلالة معا ،أي ضمن مبد أ انتظام المعنى واتصال الكلام ،يقول أبو هلال العسكري في الصّناعتين:<<ينبغي أن تجعل كلامك مشتبها أوله بآخره، ومطابقا هاديه لعجزه، لا تتخالف أطرافه،ولا تتنافر أطواره، وتكون الكلمة منه موضوعة مع أختها ومقرونة بفلقها>> (22).

لقد أعطي معيار الانسجام أو الحبك عناية قصوى عند علماء النصّ ،كونه <<خاصية دلالية للخطاب،تعتمد على فهم كلّ جملة مكوّنة للنصّ في علاقتها بما يفهم من الجمل الأخرى>>(23)،وبما يجعل مجال اختصاصه الاستمرارية المتحقّقة في عالم

[20] محمد العبد، حبك النص منظورات من التراث العربي، مجلة فصول، الهيأة المصرية للكتاب، عدد59 ، 2002. ص30.

[21] ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، م س، ص125.

[22] أبو هلال العسكري، الصناعتين، م س، ص 141.

[23] صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النصّ، م س، ص340.

النصّ دلاليا،لأنّ الحبك– كما يقول مصلوح– <<يختصّ بالاستمرارية المتحقّقة في عالم النصّ...،ونعني بها الاستمرارية الدّلالية التي تتجلىّ في منظومة المفاهيم... ، والعلاقات الرّابطة بين ه ذه المفاهيم>>(24)،أي الاستمرارية التي تتجلىّ في منظومة المفاهيم والعلاقات التيّ تنكشف من خلال القراءة والتأويل في ظلّ التّفاعل الاجتماعي الحاصل في عملية التّواصل والحوار بين المتلقيّ والنصّ،انطلاقا من المرجعيّة الثّقافية المشتركة بين مستعملي اللّغة،إنتاجا وتلقّيا.

يشكّل انسجام النصّ خاصية الخطاب الدّلالية فيه ،وتقوم هذه الخاصية الدّلالية على أو بين العبارات داخل النصّ ،بوصفه كلاّ واحدا ، إذ<<تعتمد على فهم كل جملة مكوّنة للنصّ في علاقتها بما يفهم من الجمل الأخرى >>(25)،وهو ما يعطي للحبك صفة الارتباط المعرفيّ المتبادل بين الإنتاج والتلقي، وإذا كان السبك مرتبطا بالنصّ في ذاته، فإنّ الحبك يرتبط بالنصّ مع متلقيه،ولذلك فهو يرتبط أكثر بإستراتيجية القول الدّلالية والتّداولية لإقامة علاقات متماسكة بين وحدات النصّ ، ولا يتحقّق ذلك إلاّ من خلال الإحاطة بالسيّاق وبمعرفة العالم، بما يساعد على تأويل الخطاب نتيجة لما يوفّره هذا السياق من معطيات ضروريّة موجّهة، يتعذّر توفّرها من خلال الخصائص النّحوية والمعجمية للصّيغة اللّغوية لوحدها،لأنّ <<مبدأ التأويل،إنّما يقوم أساسا على اعتماد المقام الذي يحدث فيه الخطاب ومبدأ التشابه القائم على ضرب من الرّبط بين النصّ

[24] سعد مصلوح، نحو أجرومية للنصّ الشعري، م س، ص155.
[25] صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النصّ، م س، ص262.

الحاضر ونصوص أخرى ، وعلى المعرفة الخلفية >>(26)،التي تعني استعانة القارئ بتجاربه السّابقة في مواجهته للنص أو الخطاب.

إنّ المعلومات التي نملكها عن العالم هي أساس فهمنا ، لا للخطاب فحسب، بل ربّما لكلّ جوانب خبراتنا الحياتية ،لأنّ<< مسألة كيفيّة معرفة النّاس لما يجري داخل نصّ،هي حالة خاصّة من مسألة كيفيّة معرفة النّاس لما يجري في العالم بأسره>>(27)،وقد ترقى أهمية السّياق ودوره في فهم النصّ على أهميّة معياري الاتساق والانسجام أو تقاربهما *.

---

[26] محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، م س، ص178.

[27] ج.ب.براون، ج. يول، تحليل الخطاب، ترجمة د. محمد لطفي الزليطني، د. منير التريكي، النشر العلمي والمطابع، الرياض، 1997، ص279 .

* فقد أولى اللغويون والنقاد اهتماما متزايدا لدور السياق في فهم النص لأنه (يحصر من جهة عدد المعاني الممكنة و أنه يساعد من وجهة أخرى على تبيين المعنى المقصود. إن استعمال صيغة لغوية يحدد مجموعة من المعني، وبإمكان المقام أن يساعد على تحديد عدد من المعاني : فعندما تستعمل صيغة في سياق ما فإنها تستعيد كل المعاني الممكنة لذلك السياق والتي لم تشر إليها تلك الصيغة، والسياق بدوره يستعيد كل المعاني الممكنة لتلك الصيغة التي لا يحتملها السياق)..(ج.ب.براون، ج. يول ، تحليل الخطاب، م س، ص48)، حتى أصبحت النظرية السياقية حجر الأساس في علم الدلالة ، وأصبح المعنى – بناء على ذلك – (لا ينكشف إلاّ من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة، سواء كانت هذه السياقات لغوية أم اجتماعية... فمعظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى، و أن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلاّ بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها.) (أحمد مختار عمر ، علم الدلالة، عالم الكتب، مصر، ط 2، 1988، ص 70). و بدلك يصبح (السياق مصطلحا نصيا في الأساس، له حركته البنائية داخل النصّ من جهة، و بين الجمل والكلمات من جهة أخرى، وهذه الحركة تنتج مجموعة من العلاقات الوظيفية بين السياق و مكوناته). (د. محمد فكري الجزار ، لسانيات الاختلاف : خصائص الجمالية لمستويات بناء النص في شعر الحداثةن إيترات للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1 ، 2001، ص99). و يمكن ان نقسم السياق إلى: سياق لغوي توجده مكونات التركيب و معطيات التعبير، و سياق حالي/ مقامي تشكله الظروف الملابسة للنص والمحيطة به وهو ما يحيل إلى مصطلح التداولية باعتبارها (فرعا علميا من مجموعة العلوم اللغوية الذي يختص بتحليل عمليات الكلام بصفة خاصة، و وظائف الأقوال اللغوية و خصائصها خلال إجراءات التواصل بشكل عام) (د. صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النصّ ، ص 25). وإذا كانت التداولية تعني بتحليل الكلام وتعالج قيود و حدود صلاحية أفعاله فإنها تهتم بالأحرى بدراسة (العلاقة بين النص و سياقه) ، (تون. أ. فان =

المبحث الثّالث: القصدية :

أمّا القصد أو القصدية، فهو<< أساس كل عمل و فعل وتفاعل >> (28)،كما يرى محمد مفتاح،وهو بهذا المفهوم،لا يتعلّق بالإنتاج وحده ،بل يتصل بالإنتاج والتلقي معا ، لأنّ المبدع يهدف من خلال نصّه إلى ربط ميثاق تواصلي مع المتلقي ،ولا يتحقّق ذلك إلاّ من خلال الفعل اللّغوي ،وإن كان القصد في أصله خاصّا بالمتكلّم ،لأنّه يتضمّن موقف منتج النصّ، بإعتباره فاعلا في اللّغة ومؤثّرا في تشكيلها وتركيبها.فجملة الأمر–كمايقول الجرجاني–<< أنّ الخبر وجميع الكلام معان ينشؤها الإنسان في نفسه و يصرفها في فكره و يناجي بها قلبه ويراجع فيها عقله وتوصف ب أنّها مقاصد وأغراض...،وأعظمها شأنا الخبر >>(29)، ومعنى هذا،أنّ المتكلّم هو << الذي يحدّد قصده أولا، ويحرّك نظمه للتّعبير عنه،ما يجعله علامات على احساس المبدع أو المنشئ وأهدافه الذاتية>>(30)،وعلى المتلقّي بعد ذلك أن يصل إلى ذلك القصد بإعمال فكره ضمن إطار الفعل التّعبيري عن المعنى المتعلّق انطلاقا بالمبدع، حقيقة أو مجازا،

= ديك: علم اللغة، مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة د. سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، ط 1، 2001، ص115) أي العلاقة بين بنية النص وعناصر الموقف التواصلي المرتبطة به بشكل منظم بما يجعلها (تسهم إسهاما مستقلا في تحليل الشروط التي تجعل العبارات مقبولة و جائزة في موقف معين) ،(فان ديك: النص والسياق : استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة د.عبد القادر قنيني ، أفريقيا الشرق، ب يوت، 2000، ص257) كما يقول فان ديك . لقد ميّز أوستن بين وحدات كلامية بيانية و أخرى أدائية في سياق تفرقته بين القول و الفعل (فالوحدة الكلامية البيانية تستخدم لإصدار العبارات الخبرية... أما الوحدة الكلامية الأدائية بالمقارنة فهي وحدات يؤدي المتحدث أو الكاتب بها عملا أو فعلا و ليس مجرد الكلام) (جون لاينز: اللغة والمعنى والسياق: ترجمة عباس صادق الوهاب، مرجعة يوئيل عزيز، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1987، ص192). وبذلك يتجلى الفرق الحاصل بين المفهومين. ففي الوقت الذي يرتبط فيه القول بإيراد الأخبار و وصف المواقف. فإن الفعل يكون أكثر التصاقا بالمرسل، لأنه في مجمله عبارة عن أداء لفعل معين كأن يكون أمرا أو وعدا بانجاز عمل آخر، و غيرها من الأفعال المرتبطة بحالة= = = شعورية معينة تجد طريقها إلى التجسيد اللّساني عبر مجموعة من البنى اللسانية المتباينة تبعا لخصوصية الفعل اللغوي في حد ذاته.

[28] محمد مفتاح، دينامية النص، م س ، ص8.

[29] الجرجاني، دلائل الإعجاز، م س ، ص528.

[30] تامر سلوم، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1،1983، ص129.

ليتوصّل إلى القصد الحقيقي ،وإن كان بشكل نسبيّ ،إمّا بدلالة اللّفظ وحده بطريقة مباشرة، أو بالاستعانة بقرينة تدلّ عليه إن كان مجازا.

وإذا كان النصّ وسيلة لتحقيق هدف أو غاية تحملها اللّغة في الاستعمال، فإنّ القصديّة،وإن كانت في الظاهر معيارا نصيّا مستقلا <<إلاّ أنّها تتّصل في حقيقة الأمر بهذا النصّ أو بهذا الخطاب أسلوبا وبناء وتوجيها ،بقصد التّأثير في متلق بعينه في ظروف معينّة>> (31) .

تتضمّن القصديّة في جانب منها ، منشئ النصّ أو الخطاب في صورة من صور الاستعمال اللّغوي على شكل رسالة تحمل غاية أو هدف<<يجسّدها أسلوب لغويّ يتناسب مع بنية النصّ وك إجراء لتحقيقه ،بما يمثّل جزء أساسيا من دلالة الخطاب>>(32)، بل إنّ النصّ في حدّ ذاته<<لا يكتب دلالة إلا بفعل قصد المتكلّم >>(33). فلقد اهتمّ البلاغيّون والنّقاد العرب القدامى بالمتكلّم والمتلقي على السواء ،وقد انقسمت أبحاثهم البلاغية إلى قسمين:<<قسم يعني بقوانين تفسير الخطاب، وقسم يعنى بشروط انتاج الخطاب>>(34)،وقد شكّل الخطاب محورا أساسيا في تلك الأبحاث.

ومن مظاهر الاهتمام بالمتكلّم ،الاهتمام بغرضه وقصده في الكلام ، باعتبار أنّ القصد–عندهم–<< مفتاح لفهم الخطاب ،فلا يمكن فهم الخطاب إذا لم يؤخذ مقصد التّواصل بعين الاعتبار...، ومن غايات استعمال اللّغة–سواء كانت اعتيادية أم أدبية–

[31] عزة شبل محمد، علم لغة النص: النظرية و التطبيق، مطبعة الآداب، القاهرة، ط1، 2004، ص 29 .

[32] سيزا قاسم، القارئ والنص، مجلة عالم الفكر، عدد 3و 4، مجلد 23، 1995، ص277.

[33] محمد الأخضر الصبيحي، م س ، ص95.

[34] محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة العربية في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص12 .

الاتصال و الإفهام>> (35). وسواء سمّي هذا القصد قصدا لسانيّا أو خطابيّا أو تداوليّا، فإنّ المتلقّي عادة ما يحتاج- لفهم دلالة النصّ- إلى تلميحات النصّ ذاته لتوجيهه إلى قصد المبدع، كما في الاستعارات والكنايات ،<<لأنّ المتكلّم إذا أراد-كما في الكناية مثلا- إثبات معنى من المعاني ، فلا يذكره باللّفظ الموضوع له في اللّغة ،ولكن يجيئ إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه ، ويجعله دليلا عليه>>(36) .

وقد يراد بالقصد في النصّ المعنى ذاته من باب البلاغة <<لأنّه تجسيد للقصد عن طريق اللّغة ، ليس بالألفاظ وحدها أو بمعانيها مفردة، بل بتعالقها قصدا و إفادة، حتىّ تكون المعاني الحاصلة من مجموع الكلم أدلّة على الأغراض و المقاصد>>(37)، بما يؤكّد على وحدة القصد أو المعنى في النصّ، بل وعلى وحدة النصّ في حد ذاته <<ويكون القصد بذلك، بالإثبات فيها إلى معنى ليس هو معنى اللّفظ ولكنّه معنى يستدلّ بمعنى اللّفظ عليه و يستنبط منه>>(38)،أي متجاوزا لمعنى الخطاب الحرفيّ إلى المجاز-كما أسلفنا-،ما يجعل القصد بوصفه المعنى ، وهو<<المحور الرئيس الذي يتجلىّ في الاستراتيجية التلميحية... ،لإنجاز أفعال لغويّة متعدّدة في سياقات متنوّعة بخطاب ذي شكل لغوي واحد>> (39). ومن أمثلة ذلك<< أنّ الببغاء يسمىّ فصيحا ولا

---

[35] يحيى رمضان، القراءة في الخطاب الأصولي: الإستراتيجية والإجراء، جدارا للكتاب العالمي، عمان ، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط1، 2007، ص144.

[36] الجرجاني، دلائل الإعجاز، م س، ص66.

[37] المرجع نفسه، ص442.

[38] المرجع نفسه، ص442..

[39] عبد الهادي بن ظفر الشهري، إستراتيجية الخطاب، م ، ص200.

يسمىّ بليغا ،إذ هو مقيم للحروف ، وليس له قصد إلى المعنى الذي يؤدّيه>>(40)،كما يقول ابن هلال العسكري.

وقد يكون الكلام بليغا انتاجا وقصدا ، كما يكون بليغا تلقّيا وقبولا << بمعنى أن يكون بليغا باعتبار القائل والمقول له ،وهو أن يقصد القائل أمرا فيورده على وجه حقيق أن يقبله المقول له >>(41)، كما يقول الراغب الأصفهاني ، وهو ما يجعل القول البليغ في ذاته يستغرق القصد والقبول معا<<لأنّ النّاس إنّما يكلّم بعضهم بعضا ليعرف السامع غرض المتكلّم ومقصوده>>(42)،وهذا معناه أنّ التّواصل،إنّما يتحدّد في اتجاهين مترابطين:من القائل إلى المقول له قصدا ، ومن المقول له إلى القائل فهما وقبولا ،وهو نفس ما أشار إليه علم اللّغة الحديث ، حينما أكّد على<<أنّ عملية فهم الكلام تبد أ بالقصد أو الغرض من الكلام ،وتنتهي بالأصوات التي ينطقها المتكلّم.أمّا عملية فهم الكلام فتكون بترتيب مقلوب عن التّرتيب السّابق ، إذ تبدأ بتلقّي الأصوات التيّ ينطقها المتكلّم ، ثمّ تنتهي بالتّوصل إلى قصده>> (43) ،وقد <<ذكر عن أرسطو استحسانه الإشارة إلى الغرض المقصود في صدر الخطاب>> (44) .

---

[40] أبو هلال العسكري، الصناعتين: الكتابة والشعر، تحقيق محمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم ، دار إحياء الكتب العربية، عيسى الباجي الحلبي وشركاؤه ط1، 1951، ص10.

[41] الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان،2004، ص81

[42] الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5،2004، ص531.

[43] موفق الحمداني، علم نفس اللغة من منظور معرفي، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2،2007، ص163.

[44] محمد عبد المنعم خفاجي، ابن المعتز و تراثه في الأدب والنقد والبيان، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1،1991، ص589

لقد تفطّن النّقاد العرب القدامى إلى أهميّة ايراد القصد في بداية الكلام ،بل <<جعلوا الابتداء دالا على المعنى >>(45)،وهو ما أكّده الجاحظ حينما قال :<< وليكن في صدرك دليل على حاجتك >> (46)، وإن كانت غاية القصد في آخر المطاف هي التّأثير والانجاز ،ولذلك،يشترط في المرسل– المعبّر عن القصد– <<امتلاك اللّغة بمستوياتها و أحكامها،وخصوصا المستوى الدّلالي ،ومعرفة العلاقات بين الدّوال والمدلولات وسياقات استعمالها تركيبا وترتيبا،وعلى الإجمال، معرفته بالمواضعات التي يتنظم انتاج الخطاب بها>>(47)، ولكذلك المتلقي، تماما بتمام.

المبحث الرّابع : المقبولية.

يتعلّق مفهوم المقبوليّة بموقف المتلقّي من النص ضمن أفاق توقّعه ،أي<< بمستقبل النصّ أو الخطاب إزاء كون صورة ما من صور اللّغة(الاستعمال اللغوي) ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نصّ >>(48)، وهو ما يجعل هذا المفهوم متصلا بالقارئ في التلقّي ،أكثر من ارتباطه بالمبدع في الإنتاج ،بمعنى أنّه يتّصل بالتأثّر أكثر من اتّصاله بالتأثير،بما يدفع هذا القارئ إلى المشاركة في الخطاب وبناء المعنى–إدراكا و تأويلا–من خلال رغبته الذاتية والموضوية، وبالتّالي<< يصير النصّ منجزا للرغبات>>(49)،وإن كان هذا التأثّر<<مرهونا بمخزون القارئ المعرفيّ بما يحقق معرفة نوع النصّ ومنتجه،... وقصده ودلالة النصّ العامّة... ، وأهميّة النصّ بالنّسبة

---

[45] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ، ط1 ، 1982 ، ص271.

[46] الجاحظ ، البيان والتبيين، ج1، م س، ص115.

[47] عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجية الخطاب، م س، ص183.

[48] روبرت دي بوجراند، النصّ والخطاب والإجراء، م س، ص105.

[49] حسام أحمد فرج، نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1،2007، ص55.

لمتلقّيه، وبمرجعيّاته الفكريّة والايديولوجيّة ، وخصائصه النفسيّة >> (50)،مخزونا يمكّنه من معرفة الانحرافات اللّغوية في النصّ ،وتفسير سمات التّرابط و إزالة الغموض والالتباسات وإيضاحها، وكشف أستارها وأسراره ا،إذ<<لا يصادف القول في هذا الباب موقعا من السّامع ، ولا يجد له قبولا–كما يقول الجرجاني–حتىّ يكون من أهل الذّوق والمعرفة>>(51)،ما يجعل معيار القبول مرتبطا بمزاج المتلقي الذي يوصله إلى مقاصد الكلام، مع أنّ هذا<<المتلقّي لا يجد المعاني دائما في متناوله، بل عليه أن يكدّ ويتعب في إعمال الفكر لبلوغ المقاصد العميقة >>(52)، من خلال اندفاعه لاستكناه العلاقات القائمة بين اللّغة والفكر ، وليخلص إلى قيمة/تحديد المعنى من الظّاهر إلى الخفي، ومن التمثيل إلى كنه الشيئ ،وهو ما يجعل من تآلف الصورة والمعنى دليلا لوصف المعاني عند المتلقي ،وتحصيلها كما هي في نفس المتكلم ،في نوع من الإحلال ،لأنّ المتلقّي إذا فهم النصّ واستجلى مقاصد مبدعه ،زاد تقبّله له وشغفه به ،انفعالا بعد إدراك ومتعة بعد فهم. وبناء على ذلك،يمكن القول أنّ معياري القصدية والمقبولية معياران متقابلان، وأنّ التكافؤ بينهما مطلوب لتحقيق نصيّة أي نصّ.

المبحث الخامس:الإعلامية.

إذا كانت << كلمة(إعلام) في ال عربية تعني الإخبار بالشّيئ >>(53)،فإنّ الإعلامية، إنّما تتعلّق بالكمّ المعلوماتي الذي يتضمّنه النصّ إخبارا و تبليغا،أو يحيل عليه، بما يحقّق محتوى الإتّصال وشكله ،أو يتعلّق بمدى ما يجده متلقّي النصّ من معلومات و دلالات يحملها الخطاب ،ويكون النصّ أكثر إعلاميّة، إذا كان المتلقّي لا

[50] المرجع نفسه، ص56.
[51] الجرجاني، دلائل الإعجاز، م س، ص 290 .
[52] حميد لحميداني، القراءة و توليد الدلالة، م س، ص105.
[53] روحي البعلبكي، المورد الثلاثي، قاموس عربي /انكليزي/ فرنسي، دار العلم للملايين، ط2، 2004، ص180.

يتوقع حجمه الإعلامي ،مع أنّ<< لكلّ نصّ إعلاميّة صغرى على الأقلّ ،تقدّم وقائعها في مقابل عدم التوقّع>> (54) .

كلّ نصّ ،إنّما يحمل مجموعة من المعلومات بأي شكل من الأشكال يريد إيصالها إلى السّامع أو المتلقّي لتوجيه اهتمامه ، فالنّصوص، إنّما تتنوّع بتنوّع درجة الإعلاميّة فيها ،أي حسب مقصديّتها الإعلامية إمتاعا وتشويقا ، جدّة وغموضا ، خصوصا إذا تعلّق الأمر بالمجاز في النصّ الإبداعي ، والذي له تأثير نفسيّ على المتلقّي،<< لأنّ الكناية–كما يقول الجرجاني مثلا– أبلغ من الإفصاح ،والتّعريض أوقع من التّصريح، وأنّ المجاز أبدا أبلغ من الحقيقة>>(55)، وهو ما يحفّز المتلقّي على كشف ستاره و إزالة غموضه وغرابته،فيساعده ذلك على اكتشاف المعنى المتواري خلف المعنى المجازي،وترتفع بذلك درجات الإعلاميّة في النصّ وتشدّه شدّا ، إذ<<تتدرّج في الانتقال من معنى إلى معنى بتأمّل وفكر ،بما يفضي به إلى ما يريده المبدع،مع ما في ذلك من متعة الاكتشاف ولذّته>>(56).

وبناء عليه ، يشكّل معيار الإعلامية–كما يقول دي بوجراند– <<العامل المؤثّر بالنّسبة لعدم الجزم في الحكم على الوقائع النّصيّة... ،في مقابل البدائل الممكنة... ، فالإعلاميّة تكون عالية الدّرجة عند كثرة البدائل وعند الاختيار الفعليّ لبديل من خارج الاحتمال،ومع ذلك نجد لكلّ نصّ إعلاميّة صغرى على الأقلّ،تقوّم وقائعها في مقابل عدم التوقّع>>(57) .

---

[54] روبرت دي بوجراند، النصّ والخطاب والإجراء، م س، ص106.

[55] الجرجاني، دلائل الإعجاز، م س، ص70.

[56] سمير أبو حمدان، الابلاغية في البلاغية العربية ، عويدات للنشر والطباعة ،ط1 ، 1991 ، ص160.

[57] روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، م س، ص105 .

فللإعلاميّة،إنّما تتعلّق بالنصّ وبمبدعه في علاقته بالمتلقّي في موقف اتّصاليّ، فهي وإن<< كانت تتّصل وظيفيا بالإخبار والدّعاية من ناحية ، فإنّها تتّصل، من ناحية أخرى، بالجانب الإبداعي في النصّ ، بما يشكّل التزاما للمتلقّي لتحقيق نوع من التّكافؤ المتبادل بين النصّ ومبدعه فهما ونقدا ، ما يجعلها في تماسّ معها جميعا ، أي ترتبط بإفتاج النص واستقباله لدى المتلقي ومدى توقّعه لعناصره >> (58) بما يحقّق التّواصل واللّذّة معا.

ثمّ إنّ العرب القدامى قد أشاروا إلى هذا المعيار ،وإن كان بمصطلحات أخرى، كالبيان والإفادة والإفهام، وغيرها من المصطلحات المجاورة لمصطلح الإعلامية بالمفهوم الحديث.لقد عرّف ابن هشام الكلام ، بأنّه<<القول المفيد بالقصد... ، والمراد بالمفيد ما دلّ على معنى يحسن السكوت عليه >>(59)،فربط في عبارة وجيزة بين القول والقصد من جهة،وبين القصد والإفادة من جهة أخرى،أي أنّه ربط– في علاقة متعدية– بين النّاص قصدا والنصّ قولا ، وبين المتلقي استفادة وقبولا ،وهو ما يجعل مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسّامع ، إنّما هي الفهم والإفهام << فبأيّ شيئ بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع>>(60).

إنّ الإفادة بهذا الشّكل، ليست مزيّة من مزايا الخطاب فقط،بل معيارا من معايير جودته أيضا،وهي عمليّة تحتاج إلى بذل الجهد أثناء فعل التلقّي للاختيار بين مجموعة من الاحتمالات الممكنة للمعنى المراد ، وتحديد أو تثبيت اختيارات معيّنة للمعنى من بين تلك الممكنة لفهم النصّ، كسمة من سمات جودة النصّ. إنّ النصّ القوي– كما في

---

[58] أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، ط1، القاهرة،2001، ص86.

[59] ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج2 ، تحقيق محمد محي الدين، (دت)، ص374.

[60] الجاحظ، البيان والتبيين، م س، ص77 .

النصّ الشعري–<<هوالذي يحتمل مع فصاحته وكثرة استعمال ألفاظه و سهولة تركيبه و جودة سبكه معاني شتىّ يحتاج النّاظر فيه إلى تأويلاتت عــدّة و ترجيح مـا يترجّح منها بالدّليل>>(61) .

المبحث السّادس: الموقفيّة .

يتّصل مفهوم الموقفية اتصالا مباشرا بالسّياق،وبالخصوص السّياق غير اللّغوي، أي الخارج–نصّي، بمعنى أنّه يمثّل<<مجموع العوامل التي تجعل النصّ مرتبطا بموقف سائد يمكن استرجاعه،وي أتي النصّ في صورة عمل يمكن أن يراقب الموقف و أن يغيّره>>(62)، كما يقول دي بوجراند ،وما تمثّله من أهميّة كبيرة في تحديد معنى النصّ واستخدامه،وفي جعل من نصّ ما متّصلا بموقف أو ظروف ما يمكن استرجاعها في أثناء القراءة ، بما يحقّق الفهم ويساعد على الت أويل، من أجل الوصول إلى تحديد المعنى وبناء الدلالة ، لأنّ <<دراسة النصّ لن تكون كافية بالوقوف فقط عند بنيته النّحوية أو الدّلالية الداخلية ، بل لا بدّ من دراسته على مستوى الخطاب ،وهذا يعني الاهتمام ببنية السّياق والعلاقات بينها وبين النصّ>>(63)،وهو ما يعطي لمفهوم السّياق وخصوصا السّياق الخارجي دورا محوريا في تحديد معنى النصّ وبناء دلالة الحدث الكلامي عموما بـأبعاده التّاريخية والاجتماعية والثّقافية ،وأهميّة كبرى في أيّ قراءة صحيحة << باعتباره شرطا أساسيا في فهم النصّ>>(64) كما يرى الغذامي.

---

[61] ابن أبي الأصبع، زكي الدين المصر، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القران، تحقيق د . حفني محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1963، ص455.

[62] روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، م س، ص104.

[63] محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه ، الاختلاف ، ط1 ، 2006 ، ص100.

[64] عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير، م س، ص73.

ولأنّ اللّغة ظاهرة اجتماعية ، فإنّ النصّ الأدبيّ ، كحدث لغويّ ، لا يمكن تحليله وفهم معناه خارج إطار المواقف الاجتماعية التي يسمىّ كلاّ منها مقاما ،وتبعا لذلك،فإنّ <<صورة المقال تختلف بحسب المقام الذي يقال فيه>> (65).

إنّ العوامل الخارج- نصيّة، هي التي تلبس نصّا ما طبيع ته الاتصالية،ذلك << أنّ معنى النصّ واستخدامه – إنّما-يتحدّد أصلا من خلال الموقف >> (66) ،وهذا الموقف<<هوالذي يحصر مجالات تـأويلاته الممكنة من جهة ، ويرجّح كفّة التـأويلات المقصودة منه ،من جهة أخرى>>(67). إنّ البحث عن دلالة اللّفظ أو الجملة،وبالتّالي النصّ،إنّما يكون من خلال التّركيب والسّياق ال ذي ورد فيه ، لأنّ<<المعنى يتعدّد تبعا لتعدّد السّياقات التي يقع فيها >>(68)،واللّفظ في حدّ ذاته،إنّما له استعمالات أكثر منه معان محدّدة ،و<<المعنى-كما يقول فيرث ،لا ينكشف إلاّ من خلال تسييق الوحدة اللّغوية،أي وضعها في سيّاقات مختلفة>> (69) .

اشبع مفهوم المقام بحثا ودراسة في كتب التّراث العربي ،مفهوم لخصته المقولة الشهيرة (لكلّ مقال مقام) ،بل لخّصت هذه المقولة وإلى أبعد الحدود ، النّظرية السيّاقية الحديثة ، لأنّ المقال (النصّ)-منطوقا كان أم مكتوبا-غير منبت عمن ساقه ومن سيق إليه << ولو حاولنا فهم المقال منفصلا عن المقام ، لجاء فهمنا قاصرا ، بل

---

[65] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط6، 2009، ص 338.

[66] فولفجانج هانييه، مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة فالح بن شبيب العجمي، النشر العلمي، جامعة الملك سعود، السعودية، 1988، ص95.

[67] محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، م س، ص160.

[68] أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998، ص70.

[69] المرجع نفسه ، ص68.

قد يكون خاطئا>>(70)، ولذلك وجب– لفهم معنى النصّ وغرضه ودلالته–المطابقة بين المقال (النص) وبين المقام (السياق الذي قيل فيه)، ذلك<<أنّه ينبغي للمتكلّم أن يعرف أقدار المعاني و يوازن بينها و بين أقدار المستمعين،وبين أقدار الحالات، فيجعل لكلّ طبقة من ذلك كلاما ، ولكلّ حالة مقاما ،حتىّ يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات ،وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات>> (71)،كما يقول الجاحظ .

لقد شكّلت مراعاة المقام عند ابن طباطبا معيارا لجودة الشّعر ،فقد<< يكون لحسن الشعر وقبول الفهم إياه علّة أخرى وهي موافقته للحال التي يعدّ معناها لها >> (72)، تماما كما شّكل ذلك عند ابن رشيق القيرواني أساسا للتفاضل بين الشّعراء <<لأنّ أوّل ما يحتاج إليه الشّاعر بعد الحدّ الذي هو الغاية وفيه وحده الكفاية ،حسن التأتّي والسيّاسة وعلم مقاصد القول، وليكن غايته معرفة أغراض المخاطب كائنا من كان ...، وذلك هو سرّ صناعة الشّعر ومغزاه الذي به تفلوت الناس،وبه تفاضلوا>> (73)*.

أورد السكّاكي في مفتاح العلوم ما يشير أو يشي باهتمامه بمفهوم المقام وببنيته، حينما قسّمها إلى بنيتين: << بنية داخلية، تشمل تجاور الكلمات وانتظامها في

---

[70] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، م س، ص353 .

[71] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، م س، ص140.

[72] أبو إسحاق القيرواني، جمع الجواهر في الملح والنوادر ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار احياء الكتب العربية ، عيسى الباجي الحلبي، ط1،1953، ص15 .

[73] ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر و آدابه، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 2001، ج1، ص210 .

* وقد استمد البلاغيون العرب القدامى تعريف البلاغة باعتبارها (مطابقة الكلام لمقتضى الحال) من صحيفة بشر ابن المعتز ويرجع الفضل لأبي عثمان الجاحظ في إظهارها والاهتمام بما جاء فيها .(يرنظر : بدوي طبانة، دراسات في نقد الأدب العربي ، ص128) .

الخطاب،إذ لكل كلمة مع صاحبتها مقام >>(74)،وبنية خارجية تتعلّق بالظّروف الخارجيّة المحيطة بالخطاب وبغرضه وقصده <<لأنّ لكلّ حدّ ينتهي إليه الكلام مقام، وارتفاع شأن الكلام من باب الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به ، وهو الذي نسمّيه : مقتضى الحال >>(75)، و هو ما يجعل صياغة الخطاب تتأثّر بالسّياق الخارجيّ الذي يرد في إطاره،ويصبح مقياس الكلام بحسب مناسبة الكلام لما يليق به ،...<<فحسن الكلام–كما يقول السّكاكي– وروده على الاعتبار المناسب>> (76).

لقد<< شكّلت أهميّة المقام في تحليل المعنى في التراث العربي القديم ،كشفا من الكشوف التي تمخّض عنه العقل الغربيّ المعاصر في دراسة اللّغة >>(77) حينما ربطوا بين السّياق الدّاخلي للنصّ (السّياق اللّغوي) وبين سياقاته الخارجية (السياقات الخارج لغويّة) كضرورة لفهم الخطاب وتحديد معناه.

المبحث السّابع : التّناص.

بالرّغم من أن شلوفسكي وباختين قد طرقا فكرة التّناص مبكرا،إلاّ أنّ مفهومه في الدّرس اللّساني والنّقدي الحديث ارتبط ارتباطا وثيقا بجوليا كريستيفا كظاهرة نقدية.

يندرج التّناص–حسب مفهوم كريستيفا–كما أسلفنا ضمن الإنتاجية النّصيّة (...) و<<يهتمّ بالكيفيّة التي يتمّ بها توالد النّصوص وخلقها وفق عمل مبني على بناء

[74] إنعام بيوض، الترجمة الأدبية: مشاكل وحلول، م س، ص118

[75] السكاكي، مفتاح العلوم ، تحقيق ألرم عثمان ، دار الرسالة ، بيروت، ص169.

[76] المرجع نفسه، ص169.

[77] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، م س، ص 338.

سابق (78)، فكلّ نصّ، إنّما هو في أصله جزء من نصّ سابق عليه أو معاصر له،وقد يكون هذا التّداخل النصيّ شكلا كما قد يكون مضمونا، أي<<أنّه قد يكون ظاهرا ممتدّا في دائرة الوضوح يسهل اكتشافه،أو خفيّا يتعلّق بانتاج الدّلالة الجديدة>> (79).

كما طرق الجرجاني ظاهرة التّداخل النصيّ حينما تحدّث عن ظاهرة الاحتداء، والتي عالجها معالجة بلاغيّة تقترب من التّصوّر الدّلالي للتّناص في النّظرية الحديثة ، حيث نجده<<يعترف بوجود المعنى المشترك وتناول الشعراء إيّاه في شعرهم>>(80)،أو من خلال حديثه عن<<اتفاق الشاعرين في المعنى الواحد >>(81)،بحيث يتحرّك النصّ الحاضر في ظلّ الخلفية الدّلالية لنصّ أو بيت سابق عليه أو معاصر له في نوع من الاستقلالية والتميّز ،وبطريقة يصبح معها النصّان متداخلين بصور بلاغية أو دلالية متعدّدة أو محدودة ، تشكّل جزء من كينونة النصّ الجديد وجزء من هويّته.

[78] عبد القادر بقشي ، التناص في الخطاب النقدي والبلاغي ، دراسة نظرية تطبيقية ، إفريقيا الشرق ،المغرب، 2007، ص21.

[79] جمال مباركي، التناص وجماليته في الشعر الجزائري المعاصر، رابطة إبداع الثقافية للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 1999، ص77.

[80] جمال مباركي، التناص وجماليته في الشعر الجزائري المعاصر، م س، ص67.

[81] عبد القادر بقشي، التناص في الخطاب النقدي والبلاغي، م س، ص45.

خـاتمة

الخاتمة:

لقد استقرّ لدينا في ضوء هذا البحث الأهميّة التي اكتساها موضوع النصّ في الدّرس اللّساني والنّقدي الحديث بالنّظر إلى تشعّب قضاياه النّقدية وتشابكها، وكذا ضرورة التّطرّق إلى بعض نقاط الافتراق والالتقاء حول مفهوم النصّ وهويّته بناء على معاييره النّصية،سواء من منظور التّأطير المفاهيمي أو من منظور المرجعية اللّغوية والثقافية لهذا التّأطير أو ذاك المنظور.

لقد فتح التوجّه إلى النصّ آفاقا واسعة لدراسة الظاهرة النصية بأبعادها المختلفة، حيث أرسى لعلاقة عضوية بين ظاهرة النّصية بوصفها موضوعا للبحث وبين النصّ بوصفه المجال الوحيد لوجود هذه الظاهرة.

يهدف هذا البحث – من خلال تتبّع تشكّل مفهوم النصّ –إلى كشف أهم المحدّدات الأساسية لهوية النصّ في المنظور النّقدي المعاصر،الغربي والعربي على حدّ سواء،وذلك من خلال الوقوف على طبيعة الاختلافات القائمة بينهما عبر المستويات والتفرّعات المختلفة لأهم التّيارات النقدية التي أثارت إشكالية النصّ وإشكالية النّصية.

يعدّ التّعامل مع المفهوم إستراتيجية متّبعة في فعل المقاربة التي تستهدف النّص الأدبي، إن على مستوى المنظور النّقدي الخاص أو على مستوى المنظور الثّقافي العام.

إنّ البحث عن مفهوم النصّ يمثّل هدف معظم مساعي الاتّجاهات النقدية التي اهتمت بدراسة أدواته، وكشف مقومات تشكّله وآليات اشتغاله إلى يومنا هذا.

يعتبر تحديد مفهوم النصّ غاية تتنازعها مذاهب فكرية شتّى ومناهج نقدية متعدّدة ومتباينة في منطلقاتها وفي أهدافها،ولذلك فقد تعدّدت المفاهيم والمصطلحات المتعلّقة بالنّص تبعا لتعدّد المرجعيات الفكرية والثقافية المسهمة في بناء هذه المصطلحات والتحوّلات المفهومية التي تلحق النّص في الفضاء النقدي العربي والغربي على السّواء.

وقد خلصت دراستنا إلى بعض النتائج نلخصّها فيما يلي:

1) يعتبر مفهوم النّص من المفاهيم المرنة التي لم تستقر إلى تحديد جامع ونهائي، ذلك أنّ مسألة المصطلحات التي تحيل عليه لم تتبلور محدّداتها بعد نهائيّا في الممارسة النقدية العربية بشكل ناضج مستقلّ عن منجزات الطروحات النّقدية الغربية المعاصرة.
2) أصيب مفهوم النّص في الخطاب العربي النقدي الحديث في عمومه بنوع من العدوى التي انتقلت إليه من المنظومة المفاهيمية الثّقافية الغربية التي ألبست النص– في كثير من الأحيان –بثوب مفاهيمها المستقاة من البيئة الثقافية والحضارية الغربية، وبناء عليه، أصبح مفهوم النّص إحدى تجلّيات الثقافة النقدية الغربية في الممارسة النقدية العربية ذاتها.
3) إنّ مفهوم النصّ في الخطاب النقدي العربي الحديث كثيرا ما كان يبدو غريبا،ذلك أنّ ا لعثور على مفهوم قائم بذاته، مستقلّ بخصائصه الفكرية والأدبية أصبح متعذّرا ، على الرّغم من كون الخطاب النّقدي العربي القديم ظلّ على تماس مستمر مع مفهوم النصّ خصوصا من جانب الممارسة

العملية حتّى وإن اختلفت **رؤى** هذا الخطاب الفكرية والمرجعية عن الرؤى الغربية في المنطلقات والنتائج .

4) أنّ مفهوم النصّ يتضمّن دلالات غير قابلة للتجزئة من جهة، وأن نقل هذه الدّلالة كاملة غير منقوصة يحقق وظيفة ثقافية محدّدة من جهة أخرى،

5) واقعيّا،شهد مفهوم النصّ تحوّلات نوعية تبعا لتحوّل الممارسة النقدية في تاريخ النقد الأدبي الحديث عموما: ابتداء من منطلقات النقد المرجعي الذي يربط النصّ بمرجعه السياقي أو الإيديولوجي، أو مرحلة النقد النّصي،الذي ينظر إلى النصّ كإبداع فنّي،أو في إطار النّقد التفكيكي وفكرة الإرجاء الذي يربط النصّ ب لا نهائية المعنى في النّص، فيتحوّل<<النصّ>> إلى **اللّانصّ**.

6) أنّ أهمّ ما يميّز مفهوم النصّ في المنهج البنيوي – باعتبار البنيوية اتجاها نصانيّا– أنّه تركيب لغوي نصيّ ينفتح على شبكة من العلاقات الدّاخلية بين عناصره و<<علاماته>>النّصية الدّاخلية بما يجعله–في اطار هذا المفهوم– ثابتا ومغلقا .

7) أنّ المفهوم البنيوي للنصّ لم يكن مفهوما واحدا بل هو مجموعة من مقاربات مفهومية مختلفة لطبيعة النّص الأدبي تبعا لاختلاف لمراحل تبلور الفكر البنيوي:

أ) من مجرّد<<بنية>> كما يراه دي سوسير، مع أن المادة الأساسية لهذه البنية إنّما هي اللّغة ذاتها وما تنطوي على ذلك من عناصر يحكمها

الاتّساق فيما بينها بفضل العلاقات المتبادلة بينها والمتّصفة بالتحوّل داخل نسق محكم منقطع عن المتغيّرات الخارجية.

ب) مرورا بالشكلانية الرّوسية التي يرى بعض أقطابها أنّ النصّ الأدبي يمثّل تجربة البناء الشّكلي والصياغة معا، ممّا يجعل المعنى يستمدّ حقيقته من طبيعة البناء الذي لا يعكس أيّ صورة غير صورة النّص ذاته ، من خلال اشتغال العناصر الدّاخلية المكوّنة للبناء اللّغوي الذي يشكل جسد النّص وروحه.

ج) عرف مفهوم النصّ مع << بوريس ايخنبوم>> منعطفا جديدا،ذلك أنّ النصّ من منظوره هو نظام يتحدّد فيه معنى الأشياء من خلال تموقعها ضمن علاقات متبادلة فيما بينها يفرضها منطق نظام النّص ذاته، ممّا يجعل وحدة العمل الأدبي (تكاملا ديناميكيا)،ليصبح النصّ بهذا المفهوم حركة دينامية مستمرة بين مجموع عناصره المشكّلة له داخل البناء وفق مقتضيات النّظام الذي يعكس تجسّدها،

د) وفي نفس السيّاق،يستقي جاكبسون مفهوم أدبية النصّ من فهمه لمسألة النّظام اللّغوي والوظائف المرتبطة به في المفهوم السوسيري.يرى جاكبسون أنّ النصّ الأدبي هو الكيفية التي يتحقّق وفقها البناء منطوية على الآليات المحدّدة لاشتغال العناصر داخل النظام الأدبي،ما يؤكّد تركيز جاكبسون في صياغة مفهوم النّص على مظهر البناء وأثر شبكة العلاقات الكامنة بين عناصره.

8) يربط جاك دريدا(الجيل الثاني للبنيوية) مفهوم النصّ الأدبي بخصوصية بنائه فلا يوجد شئ خارج النصّ ، ذلك أن النصّ هو البنية اللّغوية ذاتها يضاف إليها مجموعة لا متناهية من الإحالات. أما رولان بارت فقد أقحم عنصر << العلامة >> بالمفهوم البنيوي طالما أن هذه العلامات تمتدّ إلى نظام لا إلى محتوى.

9) ومن منظور آخر يرى هاليدي ورقية حسن أنّ << النّص وحدة دلالية >> وليست الجمل إلاّ الوسيلة التي تشكّل حقيقة النصّ القائمة على التّماسك والانسجام لأنّ وحدة النّص مظهر أساسي في تحقيق نصيّته.

أمّا عربيّا، فإنّ الممارسات النقدية العربية الحديثة والمعاصرة قد أصيبت ببعض العدوى المفاهيمية أعجزتها عن إيجاد صياغة لمفهوم مستقل للنّص الأدبي، ممّا جعلها في أغلب الأحيان تعيد إنتاج ما جادت به البيئة الغربية توجّها وفكرا .

تتّفق معاني النصّ في العربية مع معاني التجسّد الفعلي للشئ في أكمل صورة له(الظهور والاكتمال)،وإذا ما أضفنا إلى المعنى السّابق مظهر الحركة فهذا يعني أنّ المعنى اللّغوي للنصّ في العربية يتوافق في أبعاده مع بعض مراتب المعنى التي يكونها النصّ بالمعنى النّقدي الاصطلاحي في العصر الحديث خاصة في المنظور الغربي–كما رأينا سلفا–حيث يؤدي النّص معنى البنية المكتملة المغلقة حول نفسها والمتّسمة بطابع التحوّل من خلال العلاقات المتبادلة بين عناصرها في إطار النّظام الذي تشتغل ضمنه.

10) إنّ توصيف الجاحظ<< للبيان>>لا يختلف عن إطار توصيف النصّ في العصر الحديث، حيث جعل البيان<< قناة لتوضيح المعنى وتحقيق الفهم>> وهذا الكلام لا يختلف عن ماهية النّص في العصر الحديث. ومن خلال نظرية النّظم وثنائية اللّفظ والمعنى، فقد جعل الجرجاني الوضوح شرطا من شروط ارتقاء اللّفظ إلى درجة النصّ، الذي يمثّل اشتغال النظم وتطور اللّفظ ضمنه ،أيّ اللّغة في الاستعمال.أمّا عن مفهوم النصّ في الدراسات النقدية العربية المعاصرة ، فإنّنا نلخّصها في:

11) فقد ربط صلاح فضل– لتحديد مفهوم النصّ – بين النّص الأدبي والواقع الذي نشأ فيه.أمّا محمد مفتاح فيرى أنّ أهم ضابط للنّص هو الانسجام، أي العلاقات المعنوية بين الجمل باعتبار أنّ كل نصّ هو متتالية من الأفعال الكلامية المترابطة ، حيث يجعل من مقولة الانسجام قاعدة للنّص وضابطه، وهو موضوع نال حقّة من الدراسة والتحليل عند هاليدي ورقية حسن في إطار اللّغة الانجليزية .

12) يشكل مفهوم النصّ عند عبد الملك مرتاض محصلة لتصوّر شمولي، ذلك أنّه لم يتقيّد بمنهج محدّد عبر مساره النقدي، ولذلك نراه يستقي مفهومه للنصّ من المرجعية اللسانية والبنيوية ومن معطيات المرجعية الإديولوجية أيّضا. يعرّف مرتاض النصّ أنّه شبكة من المعطيات اللّسانية والبنيوية والاديولوجية تتضافر فيما بينها لتكوّن خطابا ضمن جملة من الإمكانات القابلة للتحقّق، اجتماعيا ولغويا وإبداعيا .يسمّي مرتاض هذه الإمكانية

بالتجدّدية والتعدّدية،من خلال قابليّته للعطاء المتجدد المتعدد بتعدد تعرضه للقراءة، ولعلّ هذا ما تطلق عليه جوليا كريستيفا(إنتاجية النصّ).

13) يمثّل الترابط بين أجزاء النصّ وعلاماته أبرز الخصائص التي تسم النصّ بالنّصية، ذلك أنّ النص ليس مجموعة جمل فقط ، بل يمكن أن يكون منطوقا أو مكتوبا، نثرا أو شعرا . أمّا النصيّة فهي التي النص عما ليس نصا لأنّها تحقّق حدته الشاملة. يمكن تلخيص المعايير التي تجعل من أي حدث تواصلي في: السبك،الحبك، القصد، المقبولة، الإخبارية والتناص، وهي معايير قد جمعت بين جلّ أركان العملية الإبداعية .

لقد مكّننا هذا البحث من الوقوف على بعض الاختلافات الهوياتية التي تلبّسها مفهوم النصّ بين الرؤى الغربية والرؤى العربية، وهو ما جعل من هذا المفهوم مفهوما إشكاليا متجدّدا بدت تمظهراته المتباينة في النّظرية والتّطبيق، وبناء عليه فإنّه :

أوّلا : يصعب الحديث عن مفهوم جامع ونهائي للنصّ في الدّراسات اللّسانية والنقدية باعتبار حركيّته المفهومية كجزء من هويته النّصية .

ثانيا: كما يصعب الحديث عن مفهوم نقدي للنصّ في الدّراسات اللّسانية العربية الحديثة دون إشارة لإشكالية الرّؤية إزاء مصطلح النصّ وقضاياه النّقدية في الدّرس اللّساني الغربي الحديث خصوصا،حيث تضع هذه الرّؤية الممارسات التحليلية والمقاربات النّصية العربية على المحك من خلال وجهات نظر متباينة،يتعلّق كلّ

منها بموقفها من المشروع الحداثي عموما ومن المشروع النصّي على وجه الخصوص.

ثالثا : أنّ هناك تأثرا واضحا لدى العرب المحدثين بالمفاهيم الغربية للنصّ بالرغم من مرجعياتها اللّغوية والثقافية المختلفة، مع العلم أنّ العرب لم يعرفوا ممارسة نصيّة حقيقية إلاّ مع القران الكريم وفي خدمته.

رابعا : على الرّغم من أنّ النصّ الأدبي بنية لغوية دالّة إلّا أنّها أنساق تتجاوز طبيعة اللّغة إلى تمظهراتها الثّقافية وهو ما يعطي لهذه المرجعية الثقافية دورا مهمّا في تحديد مفهوم النصّ وهويّتة النّصية.

بيد أنّ هذه النتائج، حتّى وإن أجابت على بعض الأسئلة التي يطرحها موضوع البحث، فإنّها قد أثارت في المقابل تساؤلات جديدة قد تعيد صياغة بعض الإشكاليات المطروحة بكيفيّات أخرى مختلفة.

مكتبة البحث

مكتبة البحث :

أوّلا: المراجع باللّغة العربية :

1- إبراهيم خليل ، في نظرية الأدب وعلم النصّ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ،2010.

2- ابن أبي الأصبع، زكي الدين المصري ، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القران،تحقيق د .

3- ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة مصطفى البابي، مصر، 1959.

4- إبن طباطبا العلوي،عيار الشعر، تحقيق د.عباس عبد الستار، نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت،2000.

5- ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر و آدابه ، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2001.

6- ابن هشام الأنصاري ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق محمد محي الدين ،(دت) ، مكتبة نور، 2001.

7- ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1 ، 1982 .

8- أبو إسحاق القيرواني، جمع الجواهر في الملح والنوادر ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية عيسى الباجي الحلبي ، ط1 ،1953.

9- أبو هلال العسكري ، الصناعتين: الكتابة والشعر، تحقيق محمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ،

10- أبو عثمان الجاحظ ، الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ، مصطفى البابي الحلبي ،ط2 ،1965 .

11- أبو عثمان الجاحظ ، البيان والتبيين ، تحقيق فوزي عطوي، دار صعب، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1968 .

12- أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي ، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام ، تحقيق غريد الشيخ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2003.

13- أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم في علم المعاني ، تحقيق ألرم عثمان، دار الرسالة، 1982.

14- أحمد عفيفي ، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق ، ط1، القاهرة ،2001 .

15- أحمد مختار عمر، علم الدلالة ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط5 ، 1998 .

16- الأزهر الزناد، نسيج النصّ، بحث فيما يكون به الملفوظ نصّا، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط1، 1993.

17- إنعام بيوض ، الترجمة الأدبية : مشاكل وحلول ، دار الغرب ، الجزائر ،2003 .

18- بدوي طبانة ، دراسات في نقد الأدب العربي، مكتبة الانجلو- مصرية ،1975 ، مصر .

19- بوجمعة جمعي ، ظاهرة الحذف في شعر البحتري ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ،المغرب ، ط1، 2003.

20- تامر سلوم ، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سوريا، ط1،1983 .

21- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر، ط6 ، 2009.

22- جمال عبد المجيد، البديع والبلاغة العربية واللسانيات النصية،الهيأة المصرية العامة للكتاب، ط1، القاهرة، 2003.

23- جميل عبد المجيد، بلاغة النصّ ، مدخل نظري ودراسة تطبيقية ، دار غريب للنشر والتوزيع ، القاهرة، 1999.

24- جمال مباركي،التناص وجماليته في الشعر الجزائري،دار هومة، 2003 ، الجزائر.

25- حسام أحمد فرج، نظرية علم النصّ، رؤية منهجية في بناء النص النثري، مكتبة الآداب ، القاهرة ط1، 2007.

26- حميد لحميداني ، القراءة و توليد الدلالة ، تغيير عاداتنا في القراءة ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ،2003 .
27- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب، ط1 ، 1989 .
28- سعيد يقطين ، انفتاح النصّ الرّوائي : النصّ والسياق، المركز الثقافي العربي، بيروت ، ط2 ، 2001 .
29- سمير أبو حمدان ، الابلاغية في البلاغية العربية ، عويدات للنشر والطباعة ،ط1 ، 1991 ، ص160.
30- شرشار عبد القادر ، تحليل الخطاب وقضايا النصّ ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، 2000 .
31- صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النصّ ، دار الكتاب البناني للطباعة والنشر والتوزيغ ،ط1 لبنان،2004 .
32- صلاح فضل ، مناهج النقد المعاصر، ميريت للطباعة والنشر ،القاهرة ، ط1 ، 2002 ، ص 88 .
33- صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، دراسة تطبيقية على السور المكية ، ج 1، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ط1، 2000.
34- عبد الله الغذامي ، تشريح النص ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ،المغرب ،ط2 ، 2006 .
35- عبد الله الغذامي ، المشاكلة والاختلاف، قراءة في النّظرية النقدية العربية ، بحث في الشبيه المختلف ، المركز الثقافي العربي، بيروت ، ط1 ، 2012.
36- عبدالله الغذامي ، النقد الثقافي قراءة في الأنساق العربية ، المركز الثقافي العربي، المغرب ، ط3 ، 2005.
37- عبد الله الغدامي،الخطيئة والتكفير: من البنيوية إلى التّشريحية، الهيأة المصرية للكتاب، 1998 ، القاهرة، مصر.
38- عبد العزيز حمودة ، الخروج من التيه ، عالم المعرفة ، الكويت ، 2004 .
39- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط5 ،2004 .
40-عبد الملك مرتاض، دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي ، لمحمد العيد ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، (د ت).
41- عبد الملك مرتاض ، نظرية النصّ الأدبي، منشورات دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2007 ، ص 51.
42-عبد الملك مرتاض،(نظرية، نص ، أدب) : ثلاث مفاهيم نقدية ، بحث منشور ضمن كتاب (قراءة جديدة لتراثنا النقدي)، النادي الثقافي الأدبي ، جدة ، 1990 .
43- عبد الملك مرتاض ، مدخل إلى قراءة البنوية، علامات في النقد، جدة ،ج 29، مجلد 8،سبتمبر 1998.
44- عبد الملك مرتاض،القراءة بين القيود النظرية وحرية التلقي،مجلة تجليات الحداثة الجزائر، ع 4، 1996.
45- عبد الملك مرتاض ، في نظرية النقد ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط 1 ، 2006.
46- عدنان بن ذريل ، النصّ والأسلوبية بين النّظرية والتّطبيق ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2000 .
47- عزة شبل محمد ، علم لغة النص : النظرية والتطبيق ، مطبعة الآداب ، القاهرة ، ط1، 2004.
48- عبد الهادي بن ظفر الشهري ،إستراتيجيات الخطاب،مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت ، لبنان، ط 1 ، 2004 .
49- عبد القادر بقشي، التناص في الخطاب النقدي والبلاغي، دراسة نظرية تطبيقية ، إفريقيا الشرق،المغرب ، 2007.
50- فخر الدين جودت ، شكل القصيدة العربية في النقد العربي حتى القرن الثامن الهجري ، دار الأدب ، بيروت، لبنان، ط 2، 1984 .
51- محمد الأخضر الصبيحي ، مدخل إلى علم النصّ ومجالات تطبيقه ، الاختلاف ، الجزائر ، 2008 .
52- محمد الشاوش،أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية ، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1، 2006.

53- محمد خطابي ، لسانيات النصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991.
54- محمد فكري الجزار ، لسانيات الاختلاف "خصائص الجمالية لمستويات بناء النص في شعر الحداثة" إيترات للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1 ، 2001 .
55- محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي ، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة العربية في الثقافة العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان، ط1، 2004 .
56- محمد عبد المنعم خفاجي، ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان ،دار الجيل، بيروت ، لبنان،ط1 ،1991.
57- محمد عبد المطلب ، هكذا تكلم النصّ ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ،1991.
58- محمد عزام، النصّ الغائب ، تجليات التناص في الشعر العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق ،2001 .
59- محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري ، إستراتيجية التناص ، ط 2 ، بيروت، 1996.
60- محمد مفتاح ، النصّ من القراءة إلى التنظير ، شركة المدارس للنشر والتوزيع ، ط1 ، 2000.
61- مـحمد مفتاح ، دينامية النصّ ، تنظير وانجاز ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط4 ، 2010.
62- محمد مفتاح ، المفاهيم معالم ، نحو تأويل واقعي ، المركز الثقافي العربي، بيروت ، ط 1 ، 1991.
63- محمد نديم خشفة، تأصيل النص،المنهج البنيوي لدى غولدمان، مركز الأنماء الحضاري،حلب ط 1 ،1997 .
64- مصطفى سلومي ، عتبات النص ، المفهوم والموقعية والوظائف ، منشورات كلية الآداب وجدة ، المغرب ،
65- مندر عياشي ، النص ممارساته وتجلياته ، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع 97/96 ، 1992 .
66- منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية، ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سوريا ، 2004 .
67- موفق الحمداني،علم نفس اللغة من منظور معرفي، دار المسيرة للنشر والتوزيع،عمان، الأردن، ط2 ،2007.
68- ميجاني الرويلي- سعد البازجي ، دليل الناقد العربي، المركز الثقافي العربي، السعودية ، 1995.
سلسلة (بحوث وندوات)، رقم 22 ، ط 1 ، 2003 .
69- نهلة فيصل الأحمد، التفاعل النصي، التناصية، النظرية والمنهج، مؤسسة اليمامة الصحفية،الرياض، ط1،دت.
70- نصر حامد أبو زيد ، النص والسلطة والحقيقة ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ،
71- نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، عالم الكتب الحديث2009،الأردن،ط1.
72- يحيى رمضان ، القراءة في الخطاب الأصولي : الإستراتيجية والإجراء ، جدارا للكتاب العالمي، عمان ، وعالم الكتب الحديث ، أربد ، الأردن ، ط1 ، 2007 .
73- يوسف نور عوض ، نظرية النقد الأدبي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،ط1، 1997.

ثانيا : المراجع المترجمة إلى اللغة العربية :

74- بيارف زيما ، النصّ والمجتمع ، أفاق علم اجتماع النقد ، ترجمة أنطوان أبو زيد، المنظمة العربية للترجمة ، ط 1، 2013 .
75- تون. أ. فان ديك: علم اللغة، مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة د. سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، ط 1، 2001 .
76- ج.ب.براون، ج. يول ، تحليل الخطاب، ترجمة د. محمد لطفي الزلطني، د. منير التريكي، النشر العلمي و المطابع، الرياض، 1997.
77- جوليا كريستيفا ، مدخل إلى عالم النصّ ، ترجمة فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، المغرب، دت .

78- جون لاينز: اللغة والمعنى والسياق: ترجمة عباس صادق الوهاب، مرجعة يوئيل عزيز، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1987.

79- روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة د. تمام حسان عالم الكتب ، القاهرة ، ط1 ، 1998.

80- رولان بارط ، درس السيميولوجيا، ترجمة عبد السلام بن عبد العالي ، تقديم عبد الفتاح كليطو ،دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ، المغرب ، ط2 ، 1986.

81- رولان بارث ، نظرية النصّ ، ترجمة فؤاد صفا ، دار توبقال ،المغرب ، ط1 ،2001 .

82- رولان بارت ، لذة النص ، ترجمة منذر عياشي ، منتدى مكتبة الاسكندرية ، مصر.

83- رولان بارث، المغامرة السيميولوجية، ترجمة عبد الرحيم درل،دار تينمل للطباعة والنشر،مراكش ط1 ،1993.

84- فان ديك: النصّ والسّياق ، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة د.عبد القادر قنيني ، أفريقيا الشرق، بيروت، 2000 .

85- فان ديك ،علم النصّ ، ترجمة وتعليق : سعيد حسين بحيري ، دار القاهرة للطباعة والنشر، القاهرة ، مصر ، ط 2 ، 2005 .

86- فولفانج هانيه، مدخل إلى علم اللغة النصي ، ترجمة فالحبن شيب، النشر العلمي، جامعة الملك سعود ، السعودية، 1988.

87- فولفجانج هانيه- دينر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة د. فالج بن شبيب العجمي، النشر العلمي و المطابع، الرياض، 1999.

ثالثا : القواميس:

88- الراغب الأصفهاني ، معجم مفردات ألفاظ القرآن ، تحقيق إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان،2004 .

89- الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، تحقيق محمد صديق ، مؤسسة الرسالة ، ط8، 2005.

90- روحي البعلبكي ، المورد الثلاثي ، قاموس عربي - انكليزي - فرنسي، دار العلم للملايين ، لبنان ، ط2، 2004 .

رابعا : مراجع أخرى: (مذكّرات، مجلات وجرائد) .

91- بول ريكور ، النص والتأويل ، ترجمة عبد الحي أرزقان ،علامات ، مكناس، ع 11 ، 1998 .

92- جمعان عبد الكريم، مفهوم التماسك وأهميته في الدراسات النصية ، مجلة علامات، ج61، مجلد 16.

93- جميل حمداوي، رومان جاكيسون بين قضايا اللّسانيات وأسئلة الشعرية، مجلة أدب فن (مقال على الأنترنت).

94- عبد الملك مرتاض، في نظرية النقد الأدبي ، المجاهد ،الجزائر ، ع 1424.

95- عبد الملك مرتاض ، مدخل في قراءة البنوية ، علامات في النقد ، جدة ، ج 29 ، مجلد 8 ، 1998.

96- سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، فصول ، مجلد 10، عدد1/2 1991.

97- سعيد الغانمي ، تأصيل الماضي ، تأجيل المستقبل ، مجلة الأقلام ، ع 6 – 7 – 8 ، 1994 ، ص 61.

98- سيزا قاسم ، القارئ و النص، مجلة عالم الفكر، عدد 3و 4 ، مجلد 23 ،1995 .

99 - محمد العبد، حبك النص منظورات من التراث العربي ، مجلة فصول ، الهيأة المصرية للكتاب، عدد59 ، 2002.

100- منذر عياشي ، الخطاب الأدبي ولسانيات النصّ ، المعرفة السورية ، عدد مزدوج ، 300 / 301 ، 1978.

101 - نوال لخلف ، الانسجام في القران الكريم ، رسالة دكتوراه في الادب العربي ، جامعة الجزائر ، 2007/2006 .

فهرست الموضوعات

فهرست الموضوعات

المقدّمة : ..... أ -خ

الفصل الأوّل : مفهوم النصّ عند المحدثين الغربيين : 02- 24

تمهيد :.....02

المبحث الاوّل: فان دايك ومفهوم البنية الموضوعية للنصّ: 07

المبحث الثّاني: النصّ بين الاتساق والوظيفة الإتّصالية عند هاليداي ورقية حسن :.....10

المبحث الثّالث: تودوروف : النصّ بين الاستقلالية والانغلاق :..... 14

المبحث الرّابع: بارث بين نص الكتابة ونص القراءة :.....15

المبحث الخامس: النصّ عند كرستيفا بين مفهوم الانتاجية ووظيفة التّناص:..... 19

الفصل الثاني : مفهوم النصّ عند المحدثين العرب : 25-61

تمهيد:.....25

المبحث الأوّل: إشكالية النصّ عند عبد اللّه الغذامي: من النّقد الأدبي إلى النّقد الثقافي:27

المبحث الثّاني: مفهوم النصّ عند محمّد مفتاح: 39

المبحث الثالث: عبد الملك مرتاض ونظرية النصّ : 47

الفصل الثالث : هوية النصّ ومعايير النّصية : 62-88

تمهيد: 62

المبحث الأوّل : الاتساق أو السبك:.....64

المبحث الثّاني: الانسجام أو الحبك 69

المبحث الثّالث: القصدية 74

المبحث الرّابع: المقبولية 78

المبحث الخامس : الإعلامية.....80

المبحث السّادس : الموقفية. 82

المبحث السّابع : التّناص: 86

الخاتمة :.....89

مكتبة البحث: 98

فهرست الموضوعات: 104

ملخّص المذكّرة:

فتح التوجّه إلى النصّ آفاقا واسعة لدراسة الظاهرة النصية بأبعادها المختلفة ، حيث أرسى لعلاقة عضوية بين ظاهرة النّصية بوصفها موضوعا للبحث وبين النصّ بوصفه المجال الوحيد لوجود هذه الظاهرة.

يهدف هذا البحث إلى كشف أهم المحدّدات الأساسية لهوية النصّ في المنظور النّقدي المعاصر ،الغربي والعربي على حدّ سواء، وذلك من خلال الوقوف على طبيعة الاختلافات القائمة بينهما عبر المستويات والتفرّعات المختلفة لأهم التّيارات النقدية التي أثارت إشكالية النصّ وإشكالية النّصية.

يعتبر تحديد مفهوم النصّ غاية تتنازعها مذاهب فكرية شتّى ومناهج نقدية متعدّدة ومتباينة في منطلقاتها وفي أهدافها،ولذلك فقد تعدّدت المفاهيم والمصطلحات المتعلّقة بالنّص تبعا لتعدّد المرجعيات الفكرية والثقافية المسهمة في بناء هذه المصطلحات والتحوّلات المفهومية التي تلحق النّص في الفضاء النقدي العربي والغربي على السّواء.

لقد أصيب مفهوم النّص في الخطاب العربي النقدي الحديث في عمومه بنوع من العدوى التي انتقلت إليه من المنظومة المفاهيمية الثّقافية ال غربية التي ألبست النص– في كثير من الأحيان – بثوب مفاهيمها المستقاة من البيئة الثقافية والحضارية الغربية، وبناء عليه، أصبح مفهوم النّص إحدى تجلّيات الثقافة النقدية الغربية في الممارسة النقدية العربية ذاتها.

الكلمات المفتاحية: النصّ، النصّية ، البنية ، العلامة النصيّة ، بناء شكلي، الأدبية ، النّظام اللّغوي ، ، البيان، إنتاجية النصّ ، المعايير النصية، التّماسك ، الانسجام، المقبولة، الإخبارية ، التّناص.